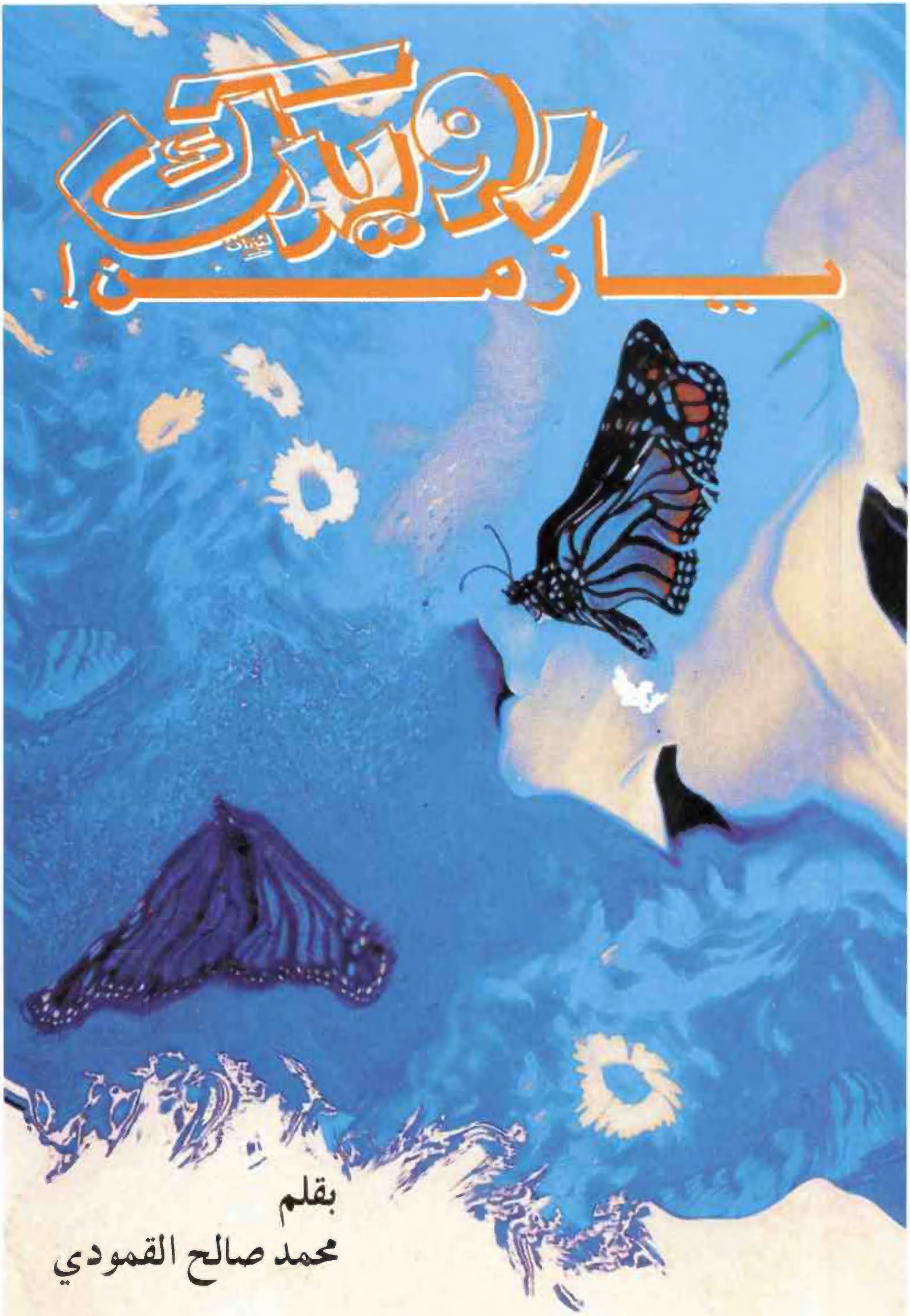

رويدك يا زمن!

بقلم
محمد صالح القمودي

حسني يوسف القموسي

رويدك يازمن

بقلم

محمد صالح القمودي

حسني يوسف الكويني

اعترف منذ البداية..

أن هذه الرواية ليست من نسخ الخيال..

لقد عشت مع أبطالها في صحرائنا الحبيبة أياماً مشرقة بالعمل والأمل ..فإذا بكلماتها مسبوكة بعرق الكد الشريف..

معطرةبزفرات العمل في الرجاء واليأس..ترسم صورة صادقة للشباب الوطني الذي تحدي الاستعمار التقني، ويحارب الجهل والاستغلال..

تعزف ملحمة العمل الليبي الذي يبدد بالجهد والكدح تهمة الكسل..ترفع صوت الحق مشرقاً بالصدق والتقوى.

فلاتستغربوا أن تعرفتم على أبطالها:

في حقول النفط

في الصحراء المترامية

أو في شوارعنا الدافئة بالمودة و الإخاء

الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع و الإعلان

مصراتة – الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الإشتراكية العظمى

ص.ب. 17459 مبرق (تلكس) 30098 مطبوعات

الطبعة الاولى 1403-1993م

رقم الإيداع 3206-98 دار الكتب الوطنية – بنغازي

حقوق الطبع و الاقتباس و الترجمة محفوظة للناشر

طبعت بمطابع شركة پ.ي.ج. المحدودة - سان جوان - مالطا

ـ أموت من الجوع..
لكنني لن آكل كثيراً يا شعيب.
وهو يتفحصه بنظراته الثاقبة
تساءل شعيب:
ـ ولكن.. لماذا يا باشمهندس؟
ـ أوصيتك مراراً بالتخلص من عقدة الألقاب

نحن إخوة..
أحمد..
أحمد فقط..
ـ حاضر ياسي أحمد فقط..

ضاحكاً من الأعماق.. قال:
ـ كلمة فقط مرفوضة..

أحمد صالح.
ـ هل يعجبك طبخنا يا أحمد؟
ـ تعودت عليه، حتي كدت أنسي طواجين الست الوالدة.
ـ حفظها الله لك..
ماذا تريد أن تأكل؟
ـ شريحة لحم وبعض الخضر.
بعد أقل من ساعة.
سأستخرج الجزر.
وينبغي أن تكون معدتي نصف خاوية

ـ ياه!
أو تكون عملية أستخراج الجزر..
شاقة الى هذا الحد؟
ـ شاقة جداً. وخطرة أيضاً.
ـ لاتنسى نصيبي!
ـ نصيبك؟
ـ من الجزر!
شهر وأنا في الصحراء
ولم يصلني جزر أطبخ به (كسكسي)
انفجر ضاحكاً، وشعيب يغادر غرفة الاكل الى المطعم

هكذا طبعه
يفجر الضحك
ثم ينسحب مسرعاً
وكأنه يخشى على المرح من وجوده.
وهو يضع الاطباق
قال شعيب:
ـ متى سنأكل اللحمة؟
ـ المطبخ أمامك. كل ما شئت من اللحم
ـ لاتراوغ!
أقصد وليمة زواجك.
متنهداً.. قال أحمد:
ـ الله أعلم..
ـ ماذا تنتظر؟
أى عائق يمكنك من إتمام دينك؟

وهو يداري الحزن بابتسامة..
ـ كل أمر مرهون بوقته.
ـ حان وقت زواجك،
فاعزم وتوكل على الله.
ألقى نظرة على ساعته..
انتصب واقفاً، قائلاً:
ـ عن إذنك يا شعيب..حان وقت
استخراج الجزر.
بلّغ الجماعة بأنني سأتأخر عن الحصة بعض
الوقت..سأحاول إنهاء العملية قبل
العاشرة، لأوفر لهم وقتاً كافياً للنوم بعد
الدرس.

●

آلة الحفر..
كأنها المارد
منتصبة على مسافة قريبة.
هدير محركاتها..
نبضات حياة تبدد سكون الليل
تسري في ارجاء الصحراء..
ابتسم أحمد..
كلما بدد نور الظلام
وتردد ضجيج الآلات..
غمره دفء كالسعادة.
انتزع نفسه من لحظة تأمل
ثم هرول الى سيارته الطاوية
واندفع بها في قوة
فوصل بعد دقائق الى الهيكل الحديدي
المنتصب.
صعد درجات السلم جرياً.
اقترب من الحفار..
ـ طبختم الجزر؟
ـ وسيكون جاهزا بعد دقائق.
استعد لالتقاطه
ـ حسناً.. أين المساعد؟
من أحد أركان منصة الحفر
جاءه صوت:
ـ هأناذا..
ـ يا علي..تعال يا علي!
اقترب شاب يرتدي ((عفريتة)).
يضع فوق رأسه خوذة، يمسك في يده
مطرقة وقفازاً..
ـ هل أحضرت الصناديق؟
ـ عشرون صندوقاً مرقمة كما أوصيتني
عال ارتدي قفازك وناولني خوذتي.
فك عمال الحفر آخر أنبوب..
تبثوا المخلب الحديدي حول عنق
الانبوب ((حامل الجزر)) فصاح الحفار:
ـ هل أنت مستعد يا أحمد؟
ـ مستعد. توكل على الله
ضغط الحفار على الدائس
ارتفع هدير المحركات.

صعد المخلب بالانبوب .

حتى تأرجح طرفه على بعد شبر
من أرضية المنصة .
اندفع مساعد الحفار بحابس للجزر .
ثبته في طرف الانبوب .
صاح مخاطباً الحفار:
ـ ارفع!
ضغط الحفار على الدائس لكن العينات لم تسقط .
تناول أحمد المطرقة.
تلاحقت ضرباته على جوانب الأنبوب.
ازدادت عنفا
حتى بدأت قطع العينات تتساقط ،
اسطوانية .. كأنها قطع الجزر.
كلما نزلت قطعة ، حبس مساعد الحفاربقية
القطع، حتى يلتقط مساعد الجيولوجي ما
سقط .. ويضعه في الصندوق .
مداعباً الحفار .. يقول أحمد :
ـ على رسلك .
العينات أثمن من حفارتك . أريدها
كاملة غير مهشمة .
ـ لولا حفارتي لما فزت بالعينات
ها قد أفرغ الأنبوب كل ما في جوفه
خذ عيناتك وارحل.
ـ سأرحل وتخبط بمفردك
كما تشاء

ـ تعال هنا، ما هو برنامجك الآن ؟
عاد أحمد باسما:
ـ أرأيت كيف أنك عديم الفائدة
بمفردك!
نظف البئر استعدادا للتسجيلات
الكهربائية
ـ حاضر . .

●

رتب المساعد العينات فوق المنضدة .
اقترب منها أحمد وفي نظراته لهفة :
صخور جيرية .. تحتوي علي مسامة
طاهرة .
هل تضم بين جوانحها زيتا ؟
قرب مصابيح الأشعة « فوق البنفسجية»
من العينات . .
ظهرت بقع في صفرة براقة
صاح في غبطة :
ـ هذه الصخور الحبيبة تجود علينا
بسائلها الثمين !
اغسلها جيدا بالماء يا علي . أزل
ما علق بها من طين . سأعود في الفجر
لتفحصها

●

عاد أحمد إلي المعسكر مترنما .
اقترب من النادي لإعطاء درسه

اليومي في محو الأمية
تناهي إلي مسامعه صراخ :
ـ سأقتله !
سأشرب من دمه !
لن أعتقه هذه المرة !
إنه صوت شعيب . .
. . ما الذي حدث يا تري ؟ !
اقتحم أحمد النادي .
بعض الحاضرين . .
يقف بين شعيب ومعتوق عامل المغسلة
يمنع الأيادي من التشابك
لكنه لا يستطيع حبس الشتائم
والتهديدات .
ـ سأقتله !
أرني المقبرة التي تجمع ضحاياك !
ـ يا جماعة صلوا علي النبي !
ـ أنتم إخوة !
ـ تعوذوا بالله من الشيطان !
صاح أحمد :
ـ ما الذي حدث ؟
احتراما له . .
لاذت الشتائم بالصدور .
انكسرت حدّة النظرات .
تخشعت الرؤوس .
عاود السؤال :
ـ ما الذي حدث يا جماعة ؟

أتأخر عليكم ليلة واحدة . .
فأجدكم تتعاركون كاالأطفال ؟ !
تفحصت نظراته الوجوه .
انزلقت إلي المنضدة .
فوق المنضدة
أوراق لعب . .
و نقود . .
وعلب تبغ .
أدرك ما حدث .
غمرته الكآبة .
ظن أنه قد أفلح في معالجتهم من وباء
القمار .

●

عندما جاء إلي المعسكر
قبل شهور . .
وجدهم يرزحون تحت الجهل
يتخبطون في الجهالة .
من بين مائة عامل
لم يعثر علي ثلاثة يجيدون القراءة و
الكتابة .
يحب وطنه
يفترسه
الجهل عدوه
يكبل انطلاقته
يحطم القيد

تدعيم للحرية .
عزم علي خوض المعركة .
لن يدع الحقل حتي يمحو الأمية
وشمّر عن ساعد الجد
لكنهم سخروا منه .

●

في البداية . .

قال بعضهم :
ـ قالّك اقرأ !
سنعود إلي الجامع مرة اخري ؟ !
بعد ما شاب ، خش الكتّاب !
ـ أما القراءة هذه يا أولاد . .
فلم تدخل لي مخا أبداً !
ـ الفقيه . .
كم ضربني فلقة
و لم أتعلّم شيئا !
ـ و سي حمد يريدنا أن نجلس أمامه
كا الأطفال !
ـ كلام فارغ
ساعة لعب أحسن من ألف كتاب !
ـ الواحد يعرق طوال اليوم . .
ثم يطلب منه السهر في القراءة !
ـ إذا كان ينوي تعليمنا حقا
فليأخذ من ساعات العمل . .
ساعة للدرس !

و من يرضي له بذلك ؟
ـ يا رجل . . العب !
هيا (اسكمبيل) بستة

●

وافقت الشركة علي منح ساعة من
العمل لمحو الأمية .
اقتنع أحمد مديرها
فوجد العمال أنفسهم بين ساعة للعمل
أو ساعة الدرس .
فاختاروا ساعةللدرس :
ـ آهو الواحد جالس علي الأقل .
ـ مرتاح ساعة من عناء العمل .
وإذا رسبنا في الإمتحان ؟
ـ وهل نحن في مدرسة حتي تجري لنا
إمتحان؟
ـ ـ نفر العمال من الدروس في البداية .
تململوا .
تثاءبوا .
ومنهم من غالبه النعاس . .
ثم أخذوا يستعذبون قراءة الكلمات .
ك . . ت . . ب
كتب !
ما أجمل بريق العيون . .
و هي تفك الرموز

و تقرأ الكلمة !
ما أعذب الكلمات . .
و هي تتعثر علي لسان عامل يتهجي !
كان شعيب أسبق المتحمسين
كلما أفلح في قراءة كلمة
التهمت ابتسامة عريضة غضون وجهه
و التمع في عينيه بريق . .
لا تجد له مثيلا إلا عيني في طفل عثر
علي شيء أضناه البحث عنه .

●

و صاح شعيب في زملائه ذات يوم
و هو يحجم عن توزيع أوراق
(السكمبيل) :
_ ساعة واحدة من الدرس لا تكفي
نريد أن نتعلم القراءة و الكتابة
قبل أن يعود أحمد إلي طرابلس .
_ لقد تعهد بالبقاء معنا ثلاثة أشهر علي
أقل تقدير !
_ و لو
ساعة واحدة لا تكفي
ماذا لو طلبنا منه حصة إضافية بالليل ؟
_ فكرة
_ علي بركة الله
_ لكن . . لعل في ذلك إرهاقا له ؟
ضاعف أحمد الحصص في سعادة .

بعد شهر واحد من بداية الدروس . .
جاءوا يطلبون منه مضاعفة الحصص !
تحمل سخرية الساخرين
و هو علي يقين من أن نظراتهم ستتبدل .
عاملهم برقة .
الحلم . . سيد الأخلاق
صانع المعجزات !

●

أدرك منذ البداية . .
أن عدوه هو القمار .
كانوا يجلسون إلي الورق طيلة ساعات
يلعبون بمرتباتهم
بساعاتهم
بتبغهم
بملابسهم
و حتي بغذائهم.
و كم من عامل عاد في إجازة
و هو لا يحمل من مرتبه قرشا :
سلبه القمار كل ما كسب
و ترك له الحسرات .
أدرك أن القمار عدوه
و رغم ذلك . .
لم يحدثهم عنه اطلاقا .
ظل يحاربه بطريقة غير مباشرة
يبذل في الدروس جهوداً متزايدة

يشرح للعمال الفوائد التي ستعود عليهم
من التعليم .
كان يقول في حماس وصدق :
ـ الجهات المختصة . .
وضعت خطة لمحو الأمية .
الخطة مرتبطة بجدول زمني
و لن يعثر الإنسان علي عمل في المستقبل
. . مالم يكن قد محي أميته .
ثم يضيف بعد صمت مدروس:
ـ تفاهمت مع الإدارة فوافقت علي منح
علاوة لكل من ينجح في دورة محو الإمية.
وتلتمع العيون ببريق الاهتمام
فيستطرد أحمد قائلا :
ـ يا سلام يا جماعة . .
لو تعلمون أية متعة يجدها الإنسان في
القراءة !
الصحيفة . .
أو المجلة . .
أو الكتاب . .
تحمل المرء في رحلات ممتعة . .
تنقله من أفريقيا
إلي آسيا
إلي أمريكا . .
تدخل به المدن
و الأرياف
و القري . .
ترتاد به المساجد
و المنتزهات . .
تجعله يبكي أحيانا
و يضحك أحيانا أخري .
تجنبه المهالك و الأخطار
وترشده إلي سبل السعادة
و الرفاهية ، و الصحة . .
تلقنه كيف يعيش أفاضل الناس
و أرقهم حالا . .
تجسّم أمام عينيه بطولات الماضي
فإذا به يعيش في مكة مع الرسول الكريم
و خلفائه الراشدين
و يطوف بغداد مع الرشيد
و يترنم في الأندلس مع زرياب
و يتعذب في فلسطين مع الفدائين
و يخوض المعارك مع القوات العربية .
إن حياة الإنسان بلا كتاب . . حياة
واحدة .
من منكم لا يرغب في حياة مديدة . .
مديدة!؟

•

مرة واحدة . .
مرة واحدة فقط
كاد العدو أن ينتصر عليه!

حدث ذلك عندما حضر عثمان .

●

ـ أهلا وسهلا .
ـ السلام عليكم اسمي عثمان ال . .
ـ أعلم ذلك .
وصلتني كافة البيانات عنك .
كيف حالك في كلية المعلمين ؟
ـ الحمد لله .
وفقني ربي
فانتقلت إلي السنة النهائية
ـ يعني إنك ستصبح مربياً فاضلاً إعتبارا من السنة القادمة .
ـ إن شاء الله .
ـ عظيم . لماذا لا تبقي في مكاتب الشركة بالمدينة ؟
ـ قالوا : لا عمل لدينا إلا في الصحراء
فقبلت .
دراهم يساعد الإنسان بها نفسه
ـ أعانك الله علي أمرك
و أي عمل يروق لك هنا ؟
ـ عمل أبسط عامل .
أعطني عفريتة و خوذة . .
و دعني أثبت الأنابيب .
ـ لكن هذا العمل مرهق جدا !
ـ أنا ابن بادية
و الأعمال المرهقة لا تزدني الإ صلابة.
ـ حماس طيب
أرجو أن تدخر معظمه لما سأعرضه عليك.
ـ الحماس موجود بفضل الله . .
و إن افتقدناه
فجّرته الإرادة .
ـ ماذا لو أنفقت أربع ساعات في الإطلاع علي أعمال الحفر و الأربع ساعات الباقية في محو الأمية
ـ محو الأمية ! ؟
ـ نعم .
ـ 97 ٪ من العمال تكبّلهم الأمية .
بدأت أفل قيودهم منذ وصولي . .
لكن الحفر يقترب من الطبقات الهامة
و وقتي سيصبح ضيقا .
هل تقبل مساعدتي ! ؟
ـ بكل سرور !
إنها فرصة نادرة تتاح لي .
سأمارس عملا لن أنال شهادته قبل سنة .

●

و انهمك عثمان في التدريس . .
بحماس ، و نشاط ، و إصرار .
لكنه اكتشف ما جعله يتدمر .
ـ إن من بينهم من يهجر الدرس . .
ليلعب الورق !

ـ حارب أهواء نفوسهم كما حارب الأمية .
ـ إنهم يلعبون القمار !
ـ مرضي فلا تحنق عليهم .
ـ سأعرف شغلي معهم !
سأجعلهم يمتنعون عن القمار !
موجة من الغضب . .
حملت عثمان .
كتب إلي رئيس شؤون الموظفين رسالة .
اشتكي في الرسالة من القمار، و المقامرين .
هددهم بإبلا غ الشرطة .
جاء من الإدارة تحذير شديد اللهجة . .
و قامت في المعسكر زوبعة
ـ من الذي أوشي بنا ! ؟
ـ سنؤدبه !
ـ لابد من ضربه !
ـ عثمان . . لا يفعلها غيره . .
ـ أي شأن له بنا ؟
ـ لعله يظن ، أنه إذا علّمنا حرفا . . صرنا له عبيدا ! ؟
ـ ما هذه الدروس التي ستذلنا ؟
ـ ساعة عمل تحت الشمس أرحم !
ـ اعمل ثماني ساعات و لا شأن لأحد بك بعد ذلك .
ـ تلعب ، تقامر، تنام . . أنت حر .
ـ لا دراسة بعد اليوم !
ـ النادي الذي فيه الدروس . .
لن أدخله بعد اليوم !

●

و أضرب العمال عن دروس محو الأمية .
استغرب أحمد .
ـ ما الذي حدث يا جماعة ؟
هل غلطت معكم ؟
سامحوني مقدما إن غلطت .
ـ حاشاك الله أن تغلط يا أحمد .
ـ لماذا حرّمتم علي أنفسكم دخول النادي إذن ؟
ـ شوف يا سي حمد . . صلي علي النبي .
ـ اللهم صلي و سلم عليه حتي يرضي .
ـ نحن لسنا ملائكة . .
و البعد عن الأهل والديار
يدفعنا أحيانا إلي لعب الورق
و ربما أخذتنا نشوة اللعب فقامرنا .
نحن نعلم أن القمار حرام
و إنه سلوك مشين . .
و يعلم الله أننا منذ نوّرت علينا المعسكر.
بدأنا نبذل قصاري جهدنا للإقلا ع عن اللعب نحن مخطئون . .
لكن الله أمر بالستر.
و أنت لم تخض معنا أبداً في القمار

رغم استياك منه .
ـ ما الذي حدث ؟
ـ عثمان يا سيدي . .
يظن أنه بحصتيه ،
قادر علي استعباد نا .
نحن لا نريد حصصاً
و سنلعب القمار و إن جاء مدير الشركة
نفسه !
أدرك ما حدث .
تسرّع عثمان
فكاد أن يفسد كل شيء .
رسم علي شفتيه ابتسامة .
سكب علي لسانه أرق ما في قلبه من
عبارات :
ـ عثمان مخطيء
عليه (حق و باطل)
ما كان ينبغي له أن يفعل ذلك أبداً .
نحن هنا أسرة واحدة .
إخوة .
إذا غلط أحد نا . .
قوّمه الأخرون .
زيتنا . .
يجب أن يظل في دقيقنا .
و أنا لا أسامح أحدكم . .
يراني ارتكب خطأ
و لا ينبّهني .

ـ استغفر الله .
حاشاك من الخطأ
ـ الإنسان . .
أي إنسان
عرضة للخطأ .
ـ عثمان تسرّع قليلاً
ـ هذا صحيح .
ـ لو حدثنا في الأمر . . لتفاهمنا .
ـ أخطأ عثمان و سأعود به ليعتذر لكم .
ـ معليش يا راجل حصل خير .
ـ لا و الله !
أبداً !
أخطأ عثمان في حقكم . .
و لابد أن يعتذر!

●

اعتذر عثمان
فصفت القلوب
و عاد القوم إلي الدروس .
ثم مرّت الأيام
فنبذوا القمار . .
رباه !
كيف عادوا إليه ثانية ! ؟
أخفي كآبته في اللوحة .
كتب عليها التأريخ .
التفت و علي شفتيه ابتسامة .

في هدوء قال :

ـ إخواني . .

هذا درس الودا ع

ـ ودا ع ! ؟

ـ لا ودا ع بين الإخوة .

ـ سنزورك و إن ذهبت إلي آخر الدنيا .

ـ ودا ع !

لا سمح الله .

قل كلاماً غير هذا ! !

ـ إخواني . .

إنه ودا ع إلي لقاء .

سأعود إلي طرابلس غدا .

ـ سأسافر بالسلامة .

ـ و عد إلينا بسرعة !

و هو ينثر النظرات الودودة قال :

ـ سيتولي عثمان أمر محو الأمية من بعدي

. . فأرجوا أن تتعاونوا معه كتعاونكم

معي .

ـ كن مطمئناً .

ـ سأحضرلكم من طرابلس كتباً ميسّرة .

ـ نريد سلامتك .

●

الرمال تحت قدميه ناعمة . . ناعمة .

أشعة القمر تتسلل إلي سويداء القلب .

السماء نورانية

في لون البهجة . .

و الشفافية بين جوانحه

تكاد من الشوق أن ترفعه .

استلقي علي ظهره

واضعا كفيه تحت رأسه .

تأمل الكون يا أحمد . .

إنه فسيح

عظيم

رائع

أنت فيه ذرة . .

. . ذرة متناهية في الصغر .

هذا الكون . .

معجزة في التوازن و الإنسان

مبني وفق هندسة بارعة

و قوانين دقيقة

كل شيء فيه يتحرك بحساب . .

من الذرة المتناهية في الصغر .

إلي الفلك العظيم

إلي الشمس و كواكبها

إلي المجرّة الهائلة التي تحتوي علي أكثر من

ألف مليون نجم !

إلي السماء المترامية

التي يقدر الفلكيون بأن بها ألف مليون

مجرّة !

و المجرة أمامك يا أحمد . .

تبرز كيانها بضباب خفيف . .

جعل الأجداد يطلقون عليها تسمية
طريفة :
طريق سارق التبن !
سبحانك ربي . .
ما أبدع ما خلقت !

●

قفز أحمد من سريره علي جرس المنبه .
الرابعة صباحاً .
مازال الوقت مبكراً علي صلاة الفجر .
فتح المذياع علي ألحان خفيفة .
بدأ رياضته الصباحية . .
تكاد الحجرة الصغيرة أن تضيق بقامته
المديدة ، و حركاته العنيفة
توضأ .
صلي .
عرج علي المطعم .
وجد وردية الليل من الحفّارين تتناول
طعام الإفطار
_ صباح الخير .
_ صباح النور . هل حمل لك الجزر شيئا ؟
_ إنه يبشر بالخير لأول وهلة .
_ بعد ساعة
سيكون البئر جاهزاً لاحتضان آلات
التسجيلات الكهربائية
_ حسناً سأطلب فريق التسجيلات
باللاسلكي .
أخذ يرتشف من قهوته جرعات متلاحقة .
واصل الحفّار حديثه مع مساعده :
_ أسبوع آخر و أكون في باريس !
_ لا تبالغ يا (فرنسوا) . أنت هنا منذ
أسبوعين فقط .
_ ثلاثة أسابيع أعدهم باليوم !
_ و لن تغادر المطار كالعادة ؟
_ و أية حاجة بي إلي المغادرة ؟
من الطائرة إلي الطائرة
_ صدقت نحن هنا لجمع بعض المال أما
جمال ليبيا . . فيكفينا ما يبدو منه في
البطاقات
البريدية .
_ اكتشفت ملهي خلال زيارتي الأخيرة
. . لم أشاهد مثله في حياتي!
_ دلّني عليه !
_ إنه في (بيجال) ، قريب من (الطاحونة
الحمراء) .
_ آه يا (بيجال) . . ما أجمل نساءك !
_ لم أسمع عنه من قبل .
_ سأعطيك عنوانه .
نهض أحمد
سريع الخطي
غادر المطعم إلي منصة الحفارة .
استلم تقارير الحفر .

توقف علي درجات السلم
و هو نازل إلي غرفة الجيولوجيا .
الفجر في الصحراء جميل . .
يبدأ بفيض من النور وردي
ينسكب علي الرمال
يغطيها ببساط زاهٍ . .
ثم تتصل خيوط النور بين السماء و
الأرض . .
في عناق متشابك ، طويل . .
ـ صباح الخير يا علي .
ـ صباح النور يا سي حمد . العيّنات
جاهزة . نستقطع منها مكعبات لقياس
الكثافة و المسامية
و التسرّب ؟
ـ دعني أرسمها أولاً ، أدون مميزاتها .
هل سجلت الغازات ؟
ـ أشرف زميلي علي تسجيلها البارحة ، و
رسمها البياني فوق مكتبك.
ـ حسناً . اجلس إلي جهاز اللاسلكي ،
وأطلب من فريق التسجيل الكهربائي
يحضر
التسجيل .
تناول الرسم
لاحظ انتفاخ منحنيات (الإيتان) و
الميثان و (البروبان).
عاد إلي المساعد يقول :
ـ د ع اللاسلكي الآن يا علي ، طف
بالعمال و الحفّارين .
بلّغهم بأن التدخين يمنع منعاً باتاً ، اعتباراً
من الآن
لقد بلغنا طبقة تحتوي علي كميات كبيرة
من الغاز الطبيعي و هذه الغازات تتسرّب
إلي السطح عند القيام بالتسجيلات
الكهربائية .
شرارة بسيطة . . قد تسبّب حريقاً هائلاً .
عاد أحمد إلي المنضدة حيث اصطفت
العيّنات الصخرية .
قاس طولها . . ثم استخرج 95٪ من
العيّنات المأخوذة
حسناً .
هذا دليل علي أن الطبقة متماسكة
أخذ يرقم القطع الإسطوانية . . راسماً
سهماً يحدد رأس الطبقة من قدمها . . ثم
بدأ يرسم العيّنات . . موضحاً عليها
الحفريات . . و المسام . . و الفجوات . . و
إنحناء الطبقات .
صخور جيرية من نوع (الدولومايت)
تحتوي علي مسامية لا بأس بها . . و تعلوها
طبقة حاجزة من الطين الأسود .
هذا الطين يبشر بالخير . . إنه كالحارس
الأمين ، لا يسمح للزيت بالتسلّل . .
يحجزه حيث هو في الصخور المسامية .

أشرقت أسارير أحمد و هو يكتب :
حفر مليئة ببلورات (الدولومايت) و
قطرات من الزيت الكثيف .

●

انتهي أحمد من الرسم .
تناول قطعة من الطباشير.
رسم علامات علي بعض العيّنات
حيث يجد علامة
يستقطع المساعد مكعبات يجري
عليهاسلسلة من القياسات لمعرفة الكثافة ،
و المسامية ، و قابلية تسرّب الزيت عبر
المسامية .
جلس إلي مكتبه
يعد تقريره اليومي .
في الثامنة
ستحمل أمواج الأثير تقريره إلي الشركة
في طرابلس
عاد المساعد يقول :
ـ طفت بالجميع و حذرتهم من خطر
الحريق .
ـ عال . بالله يا علي استقطع المكعبات ،
و اجر عليها القياسات اللازمة.
ـ حاضر.
بسط رقعة السرعات
فاتسعت ابتسامته .

همس في فرح
ـ حلاوتك يا طبقة جيرية أنت ، يا فاتنة .
برطع الفأس في جوفك كما أراد . تقدم
بسرعة معدلها ثلاث دقائق للقدم
الواحدة . ربما شكلت هذه الطبقة خزاناً
من أجود الخزانات .
آه ! لو كانت الصخور أكثر مسامية . .
إذن لحملت ببئر كآبار حقل الإنتصار،
ذات 65ألف برميل في اليوم الواحد !
ثم و هو يرفع عينيه :
ـ يارب !فمازال في البلاد أكواخ من
الصفيح .
خرج أحمد من الغرفة
يعب نسمات الصباح
و يستقبل أشعة الشمس الذهبية .
تثاءب في سعادة
فقد وصل فريق التسجيلات الكهربائية
، و بدأ يعد أدواته استعداداً لإنزالها في
جوف البئر .
ترنّم بأغنيته . .
و فجأة !
غصت كلمات الأغنية في حلقه .
اندفع بأقصي ما في جسمه الفتي من قوة
. . هاتفاً:
ـ ياساتر يارب !
ياساتر يارب !

ظل يجري ، حتي أدرك موظفاً تحت
الأنابيب . . يرتفع منه دخّان خفيف
رجب عامل الصيانة العجوز
انحني علي موقد حتي كاد وجهه أن
يلمس التراب
و أخذ ينفخ لترتفع النار من قطع خشبية
و تطبخ الشاي في إبريق فوقها
في عنف . .
أهال أحمد الرمال علي موقد النار .
طار الموقد .
اندلق ما في الإبريق .
اختفي الإبريق تحت الرمال .
خمدت النار .
ظل عمك رجب يرتعد مردداً :
ـ بسم الله الرحمن الرحيم !
بسم الله الرحمن الرحيم !
يا سيدي عبد السلام !
تابع العجوز ارتفاع و انخفاض صدر
أحمد في صمت . .
ثم تساءل أخيراًفي نبرات مرتعشة :
ـ ليه يا حميدة يا ولدي ! ؟
ماذا فعلت لك ! ؟
أنا في مقام والدك . .
حرام عليّ يعني (طويسة شاهي) !
حتي و إن كانت في ساعات العمل . .
لو طلبت مني أن أعوض الوقت الذي
أنفقته في طبخ الشاي . . لعوضته عن
طيب خاطر . . لكن أن تفعل بي هكذا ، و
أنا في مقام والدك . .
أغرقت الغضون ملامحه .
اختلجت شفتاه .
اغرورقت عيناه بالدموع
فقال أحمد و هو يساعده علي الوقوف .
ـ سألتك بالله ألا تنطق بحرف آخر !
صمت الرجل .
تعلقت دموعه بأهدابه
ـ تعال معي !
جرّه بعيداً عن الحفارة .
جلس و إياه علي كثيب صغير .
في رقة ، قال :
ـ عمي رجب . .
اعطني لفافة تبغ .
ـ لكنك لا تدخن !
ـ اعطني بس اللفافة و الكبريت .
ناوله علبة التبغ و علبة الكبريت .
استخرج الشاب من العلبة لفافة و
وضعها بين شفتي الرجل .
أطبق رجب عليها شفتيه المرتجفتين .
استوقد أحمد عود الكبريت .
قرّب لهبه من اللفافة
فأخذ الرجل نفساً طويلة . .
ثم نفث الدخان في ارتياح . .

لكن أهدابه ظلت مبتلة .
ـ صلي علي النبي يا عمي رجب .
ـ اللهم صلي و سلم و بارك عليه .
ـ هل قابلت (علي) فجر اليوم ؟
ـ علي . . مساعدك ؟
ـ أجل . . هل قابلته ؟
لا . . لم أقابله .
ـ إذن فهو الغلطان .
سنسلط عليه العقوبة المعتادة :
زجاجة برتقال للنادي !
ـ الظلم حرام يا ولدي . .
لعله مرّبي و أنا أصلي الفجر .
ـ أوصيته أن يمر عليكم واحدا واحدا . .
و يحذركم من النار. أية شرارة قد
تسبب حريقاً هائلاً
انفجرت أساريره .
أخفت الإبتسامة غضون وجهه .
هتف :
ـ و لماذا لم تقل هذا منذ البداية !
تركت الظنون تذهب بي كل مذهب . .
حريق هائل ؟ !
يا ساتر يارب !
سيدي عبدالسلام حضر !
شاهي ! ؟
لعن الله زارعه و بائعه ، و شاربه .
شاهي . . يحرق لنا رزق الوطن !
شاهي . . يدمر لنا طعام الفقراء !
شاهي . . يضيع علينا تعب الشهور و سهر
الليالي !
لعن الله الشاهي !
تـ . عليّ اليمين من اليوم . .
وضع أحمد أصابعه علي شفتي الرجل .
منعه من إتمام قسمه .
باسما ، قال :
ـ لا تحرم علي نفسك مالم يحرمه الله .
الحمد لله الذي أسدل علينا ستره .
يكفي أن تمتنع عن طبخ الشاي بالقرب
من الحفارة .
ساعد أحمد العجوز في الوقوف .
عاد يربت علي كتفيه في مودة
و هو يقول في رقة :
ـ تعال نعود إلي موضوع الإبريق .
ـ أبداً !
لن أقترب منه ثانية .
ـ أومازلت غاضبا مني ! ؟
ـ استغفر الله .
ـ أنا في مقام والدك .
ـ و هل يغضب الوالد من ابنه ؟
ـ لست غاضبا
لكنني لن أطبخ الشاي ثانية .
ـ أنا لا أطلب منك طبخه . . تعال بس .
ـ سأغسل لك الإبريق من ترابه

و أرجو أن لا تكون الكؤوس قد
انكسرت .
انتفض الرجل .
صاح في قوة :
ـ تـ . عليّ اليمين ما أنت غاسله !
مازال و الله !
سأغسل الإبريق و الكؤوس بنفسي
و سامحني في تعبك يا ولدي .
ـ أنت الذي يجب أن تسامحني لما بدر
مني . . لقد خفت من الحريق .
ـ وفق الله خطواتك يا ولدي ! وفق الله
خطواتك !

●

و هو يضع أمام أحمد ملفا قال المساعد :
ـ متوسط القياسات كالاتي :
الكثافة 2.6
المسامية 6٪
قابلة التسرب 4 ميلي دارسي .
متبرما ، قال أحمد :
ـ المسامية قليلة لكن لا بأس
اسحق بعض العينات ،
و قس نسبة الملوحة فيها .
خرج المساعد
فهتف به أحمد :
ـ يا (عليوة) !

اقفل الباب و حياتك حتي أتمكن من
إرسال التقارير .
تناول ناقل الصوت في جهاز اللاسلكي .
ضغط علي مفتاحه ، هتف مناديا بدّال
اللاسلكي .
كرر النداء
تشابكت الأصوات عبر مكبر الصوت .
كلما ارتفعت الشمس
جابت الأثير عشرات من الأصوات من
مختلف الحقول . .
في محاولة لإبلا غ تقاريرها بسرعة .
و عندما ربط المعسكر بمقر الشركة
دارت بين أحمد و سعيد محادثة طريفة !
ـ صباح الخير يا سعيد .
كيف حالك ؟
و كيف حال الإستقبال معك ؟ حول .
ـ صباح الخير يا أحمد .
الحال خير منك .
الإستقبال جيد .
حول .
ـ الله يسامحك .
خذ عندك . .
استخرجنا 42 قدماً من العيّنات
الصخرية ، علي هيئة جزر ، في تسع
ساعات و 15 دقيقة جزر رقم 1
من1033 إلي 10358 قدماً .

نسبة الإستخراج 95٪
أحجار جيرية من نوع (الدولومايت)
مسامية ،
بها نقط من الزيت الكثيف

●

عاد أحمد إلي طرابلس .
علي سلم الطائرة
سأله سعيد في لهفة :
_ أين (المعلوم) ؟
طافت علي شفتيه ابتسامة .
قال :
_ ألا تسلم أولاً ؟
_ لا سلام و لا كلام .
أين (المعلوم) ؟
_ اصبر عليّ حتي نصل إلي سيّارتك .
استقرّا في السيارة ،
فعاود سعيد طرح سؤاله في الخارج .
باسماً . . قال أحمد :
_ كيف الأحوال ؟
_ المعلوم أولاً !
_ (المعلوم) و لا مجهول
ليس معي
_ لم تحضر شيئاً ؟
_ أبداً
_ لماذا ؟
_ لأن الله لعن صانعها و بائعها و شاربها
_ لست منهم أنت حاملها .
_ لا سمح الله ! _
_ لماذا أنت خائب هكذا ؟ !
_ لأنني صديقك .
_ علي العموم . . مت بغيظك !
لقد دبرّت حالي .
_ دبرت حالك كيف ؟ !
_ صنعت النشوة يا فالح !
_ و هل تصنع النشوة ؟ !
_ سعيد . . صانعها !
اكتشاف سأسجله في (سويسرا)
قبل أن يقتبسه المقتبسون من أمثالك .
_ إياك أن تكون قد . .
_ قد !
الحياة لا طعم لها بلا نشوة .
_ في نظرك
_ أجل في نظري . .
و بما أن المشروبات الروحية قد منعت
وبما أن الأقدار قد فرضت عليّ صديقاً
خائباً مثلك . .
يعمل في الصحراء و يعود منها صفر
اليدين . .
و بما أن الضرورة تولد العبقرية
و الحاجة تدفع إلي الإختراع . .
فقد اخترعت جهازاً أصنع به إكسير

النشوة . .
من مواد أولية رخيصة ،
متوفرة في الاسواق . .
مثل الرز و الخميرة و الأناناس و غيرها . .
و اتضح بعد تجارب ناجحة ،
أن المشروب الجديد . .
و أسميته (الخابط) لأنه يخبط في
الدماغ . .
اتضح أنه أرخص من أردي نبيد
و أقوي مفعولاً من أجود ويسكي . .
لذلك أتوقع له الإنتشار و الدوام :
اشرب (الخابط) ، توفر ثمن الملح
الإنجليزي !
ـ هل انتهيت من هرائك ؟
ـ ليس هراء . .
إنها نشرة علمية للتوعية
وصولاً إلي اكتفاء ذاتي في . .
ـ في إتلاف الأمعاء !
ـ بالعكس .
أراهنك علي أنك إذا شربت زجاجة من
(الخابط) فإنك لن تشعر بتلف في الأمعاء
ـ حد الله بيني و بين مخترعاتك !
ـ نسيت أنك تائب . سأعرف كيف
أغويك .
ـ هل تحولت إلي شيطان ؟
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

ـ لا تلعنه !
ـ قريبك ! ؟
ـ لولاه . . ما استقامت الدنيا .
ـ يا سلام !
ـ تصور عالماً بلا شيطان . . يبرطع فيه
الخير طولاً و عرضاً .
ـ و هل الخير جحشاً حتي يبرطع ؟ !
ـ في نظري . .
أما الشر
فهو ذكي ، ماكر . .
باختصار :
عبقري !
ـ عليه العوض و منه العوض .
طار برج من أبراج عقلك يا سعيد .
ـ لذلك أنا سعيد !
لأن الأبراج الباقية تجد فرصة للحركة و
التهوية .
ما أشقي أصحاب العقول الجامدة !
ها قد وصلنا إلي بيتك .
لا تطلب مني التفضل
لأنني لن أتفضل
سأعود إليك صباح الغد
لنشهد الإستعراض .
ـ شكراً يا سعيد .
إلي اللقاء غداً .

●

استقبلته أمه فاردة أحضاناً دافئة بالحنان.
تراقص الأخوة من حوله .
صرفهم بقروش إلي الدكان .
جلس يلاطف والدته ، انتظاراً لعودة والده .
ـ أهكذا تغيب عنا ثلاثة شهور متوالية؟
ـ مشاغل يا أمي . . مشاغل .
ـ ما هذه المشاغل التي تبعدك عن أهلك هكذا ! ؟
أخذ يروي لها ما صادفه من أمّية العمال و معركته مع الجهل
ثم خطر له خاطر . . فقال :
ـ سأخصص عشرة جنيهات مكافأة . .
لمن يعلمك يأمي القراءة و الكتابة !
انفجرت ضاحكة .
اهتز جسمها المكتنز .
قالت بعد حين :
ـ أتعلّم القراءة و الكتابة . . في هذه السن ؟ !
ـ خذوا العلم من المهد إلي الحد .
ـ بارك الله فيك يابني و فتح الله عليك بالخير .
اطلقت تنهيدة حارة
ثم قالت في رجاء و حزن :
ـ ألا تحقق أمنيتي و تتزوج يا بني ؟ !
أملي أن أري ابناءك قبل أن أموت .
ـ موت !
بينك و بينه مراحل . . مازلتِ في عز الشباب.
ـ شباب الخمسين !
ساد بينهما صمت .
كلّما حدثته عن الزواج . .
ساد بينهما صمت .
شرد به الذهن .
تذكر سميرة. . .
اخترقت نظراته حجب السنين .
عادت به الذاكرة إلي سنوات خلت . .
عندما كان تلميذاً .

●

في صوت جهوري قال والده :
ـ خذ مفتاح صندوق البريد ، و احضر لي مابه من رسائل . . لا تتأخر!
غادر بيته في ميدان الحديقة ، و توجه إلي البريد مترنماً .
و فجأة !
تسمر في منتصف الشارع :
قطعة ثلج . .
استقرت بين القميص و جلده
بكلتا يديه

حاول انتزاعها.
خلع القميص .
انسكبت من فوقه ضحكة رنّانة ، عذبة
كأنها خرير المياه الصافية.
تقوست حاجباه في غرابة
رفع نظرات دهشة ، مستطلعة . .
. . أبصرها :
في الطابق الأخير من الشرفة
تحني . .
رائقة السمرة
نقية البشرة
لوزية العينين . .
بريقها مضيء
مفعم بالحياة .
ماهذه الجرأة ؟ !
لم يصادف مثلها من قبل !
استعاد نظراته في حسرة .
تفحّص الشارع في حذر:
الشارع خال !
عاد يتطلع إليها . .
مازالت تضحك .
انعكست ضحكاتها ابتسامة علي شفتيه.
آه يا أحمد . . ما أسعد حظك اليوم !
وجه مستدير كالبدر، يبتسم لك . .
و أنت في الشارع تعلق علي شفتيك
ابتسامة بلهاء

و ترفع نظرات تنحسر عندما تصل إلي
قمر الظهر .
تشجع يا مغفّل !
إنها فرصة لا تسنح كل يوم .
افعل شيئاً . أي شيء . . و لكن لا تبقي
جامداً هكذا ! !
عاد يتفحص الشارع في حذر .
لا أحد !
رفع ذراعه ، لوح بيده .
حركات خفيفة . . لكن قلبه رددها
دقات عنيفة هزت الضلوع .
تجاوبت الفتاة معه .
حركت أناملها العاجية
فكاد أن يطير إليها بلا جناحين .
ذابت قطعة الثلج بين أصابعه .
و مرّت اللحظات المسحورة كأنها
الحلم .
الحلم لا يدوم يا أحمد . .
الصحوة قد تلون الحياة ، أو قد تفتح
العينين علي واقع مرير .
ها قد جاء من أطراف الشارع رجل
يسعي
فاستنأنف أحمد السير مكرهاً
حانت منه التفاتة ، قبل أن ينعطف به
الطريق .
وجد نظراتها تلاحقه

فاسرع الخطي إلي البريد
و وجيب قلبه يصّم أذنيه .

●

ماهذه المشاعر التي تغمرك يا أحمد ؟
ها أنت قد طاب لك الجلوس علي حافة النافذة . .
نافذة غرفتك المطلة علي ميدان الحديقة.
البدر ساطع
يسكب علي المدينة فيضا من نور.
يغري بالمناجاة . .
. . تري أيها الشبيه بوجهها هل تراه ؟ !
أو تكون في شرفتها تنظر إليك ؟ !
إذا كنت تبصرها . .
فأحمل إليها أشواقي .
إن عاودك السير في شارع الحب
هكذا لقبته . .
فقذفتني بقطع من الحلوي .
التهمت القطع ، و كأنني ألتهم صاحبتها.
تكررت الإشارات
ازدادت النظرات عمقاً .
صرت أغادر المدرسة رأسا إلي شارع الحب .
لا أكاد أستقر في البيت إلا ساعة الغذاء
أو عندما يرخي الليل سدوله .
و تطورت علاقتنا اليوم يا قمر :

لقد أرسلت إليَّ أخاها الصغير !
وجدني الطفل في الشارع، أتطلع إلي الشرفة تقدم مني . رفع إليَّ نظرات صافية بريئة في صوت عذب ، سأل :
ـ ما اسمك ؟
حملته بين يدي . قبلته ، و أهديته قطعة من الحلوي .
عاود السؤال :
ـ أختي قالتلك . . ما اسمك ؟
ـ و أنت ما اسمك ؟
ـ وَجْدي . .
ـ و أختك ؟
سميرة . .
ـ شاطر يا وجدي . اذهب لسميرة ، و قل لها اسمي أحمد قبَّلته مراراً و أنا أنظر إليها ، ثم تركته ، فذهب إليها . .
و ما لبث أن عاد محملا بأسئلة جديدة .
ـ قالت لك سميرة . . اكتب لي رسالة .
ـ حاضر . غداً . . سأعطيك الرسالة .
و كتبت الرسالة يا قمر . .
هل اقرأها عليك ؟
غرفتي غارقة في الظلام .
لا عليك . .
لقد عاودت قراءة الرسالة حتي حفظت كلماتها .
اسمع :

بسم الله الرحمن الرحيم . .
أيتها الصديقة سميرة . .
هأنا اكتب إليك الرسالة .
ماذا أقول فيها ، غير أنني صرت أحب
الثلج . . منذ جعلتني قطعة منه أتعرف
عليك.
كتبت الرسالة و أنا أسأل عنك القمر
و ربما تحقق أملي و قابلتك ، لأسألك إذن
عن القمر
أيهما أجمل . . البدر ، أم وجهك؟
وجهك أجمل
كلما تطلعت إليه
أشرق في أعماقي نور
و تفتحت أمامي كل الأبواب . .
كأنها براعم الورد ، عندما يلثمها الشعاع.
أصبحت لا أكاد أغادر الشارع . .
شارع الحب . . شارعنا .
ليته كان بعيدا عن الناس . . بعيدا . .
حيث لا عيون ترقب ، و لا فضول يؤذي.
أيتها الصديقة
أنت بهجة الحياة التي سرقت النوم من
جفوني فإذا ما داهم النوم عيوني . .
رأيتها في الأحلام ملاكاً يسبح في سماء
وردية .
لدي فيض من الكلمات . .
أحلم بسكبها في أذنيك
و لا تقوي السطور علي حملها
فهل أظفر منك بمقابلة ؟
ليت ذلك يحدث ،
إذن لأصبحت أسعد شاب في الدنيا .

●

و يتواصل شريط الذكريات
ينقل أحمد من ماضيه الصبياني ، إلي
حاضره الحافل بالأحداث .
و تتواصل نجوي أحمد . .
. . فأنا ألتقي بك ثانية يا قمر
كلما أرخي الليل سدوله . .
و رفرف السكون من حولي
تطلعت إليك من نافذتي . .
فإذا بخيوطك تقبّل أزهار الحديقة
و تعكس بهجة الأوراق بريقا
و تمتزج بضباب خفيف
كأنه ستار من حرير . . تغطي الطبيعة.
و ترتفع همسات الليل يا قمر . .
أصوات مكتومة
حفيف أوراق
رغاريد صرصار . .
و أتأمل وجهك السابح في النور
و أروي لك ما حدث . .
لقد جاءني وجدي يحمل إليّ من الحبيبة
رسالة . .

ماأسعدني برسالتها !
ساقرأها عليك :
بسم الله الرحمن الرحيم . .
صديقي أحمد . .
أراك أحبك ذلك الحب .
و السلام مع التحية و الاحترام .
كأنك تهزأ بي يا قمر ! ؟
لا تحاول الإنكار !
إن ابتسامتك ساخرة .
مت بغيظك !
إنك تغير مني .
صحيح إن الرسالة قصيرة . .
و خطها رديء . .
. . لكنها واضحة الدلالة
إنها تحبني يا قمر . . تحبني !
أنت لا تصدقني
أنظر إلي الرسالة !
ألا تري أنها رسمت بالقلم الأحمر . .
قلباً .
قلب كتبت بداخله . . أحبك
أو تريد بعد هذا دليلا آخر ؟ !
مازلت تسخر مني . .
لن أغضب منك
إنك تحاول سحقي بالسخرية .
لا مكان للضغينة في قلبي
أنا اليوم سابح في بحر من السعادة

•

ذات يوم . .
. . و أحمد في موقعه المعتاد
اقترب منه وجدي .
همس :
ـ قالت لك سميرة . . اصعد .
ـ اصعد ؟ !
ـ نعم . أمي ليست بالبيت ، و أخي فتحي خرج ، و أبي مسافر تلاحقت دقات قلبه .
ارتعدت أطرافه
رفع إلي الشرفة نظرات متسائلة .
أشارت إليه سميرة بأن يصعد . .
أن يصعد بسرعة !
تردد . ألحت . . ثم ألحت .
رغم وجيب قلبه . .
ارتفع في أعماق قلبه همس :
هل أطاوع الحبيبة . . أطاوع نفسي و أصعد ؟
وهبْ أن أمها أو أخاها أو أباها أو أي شيطان فاجأكما . . كيف التصرف و البيت في آخر طابق ! ؟
وإذا تخاذلت . . ألا تنفر مني سميرة ! ؟
رباه ما العمل . .
سبقني الطفل ، تسلق السلم في خفة .

جف حلقي
و ثقلت خطواتي
و همس في زاوية من صدري هاتف :
.. عار عليك أن تتراجع .
كيف تتراجع و هي التي استدعتك ؟ !
ألّحت عليك في الصعود .
سميرة .. ألّحت عليك في الصعود !
ألا تدرك ذلك ؟ !
ألا تهون في سبيلها
(طريحة علي كيف كيفك) ؟ !
بل الحياة في سبيلها تهون .
ما بالك إذن .. واجف القلب
متعثر الخطي
شاحب الوجه ؟ !
إنك لا تنظر إلي نفسك في مرآة ..
و لكنك تدرك أن وجهك شاحب .
امتقع لونه ، فلم يعد يشعر بدفء الدماء .
و انطوت درجات السلم كأنها الشريط .
هأنت تقف علي الدرجة الأخيرة
لكن .. أين ذهب الطفل ؟ !
اختفي الشيطان داخل البيت .
تخلي عنك ، و كان لك سنداً
كيف البقاء ، و من جاء بك قد اختفي ! ؟
أيها الجبان .. انتظر !
إنها فرصة العمر ..
الباب مورب .. باب الحبيبة .

و إذا خرج منها أبوها .. أو أخوها .. أو أمها
كيف تواجه الخارج ؟ !
دون ذلك .. التدحرج ، أو الإلقاء بالنفس من هذا العلو .
و خرج الطفل تسبقه نظراته البريئة .
قال عبارة لم تفهمها لأول وهلة .
استعدتها .. فإذا بها :
ـ أختي تسرّح شعرها .. انتظرها .
أطالت تسريح شعرها .
إنها تتزين لك .
لا أقلّ من أن تستعد لاستقبالها .
بالتزين ؟ !
لا ! لا .. ليس من شيم الرجال التزين .
استعد لاستقبالها برباطة الجأش
بابتسامة عريضة فيها ثقة و رجولة .
و ترتعش شفتاك ..
تختلجان عن ابتسامة فاترة .
تباً للخجل !
....
....
و أهلّت أخيراً ..
مستديرة الوجه
حوراء العينين
رائقة البشرة
باسمة الثغر

آه ! ما هذا الشدي الذي يسبقها إليك ؟ !
عبير من السعادة و لا شك .
_ أهلاً و سهلاً .
من قال إن تغريد البلابل يطرب ؟
إنما الطرب عبارة عن ترحيب . . تنسكب
من شفتين ورديتين مكتنزتين . . في هالة
من نور .
و كيف تكون للصوت هالة ؟ !
بريق الأسنان العاجية . . يحيطه بهالة . .
تخطف الأبصار .
ثم إن ما سمعت ليس صوتاً .
قد يكون لحناً . نغماً . ترتيلاً . شدواً .
و لكنه أبداً ليس كبقية الأصوات .
و طال صمتك يا أحمد ، فشجعتك علي
الحديث بابتسامة
ابتسامة ! ؟
بل اشراقة صبح . . تعكسها قطرة ندي .
و فتح الله عليك بكلمة :
_ مساء الخير . .
جاهدت لتضيف :
_ كيف الحال ؟
_ الحمد لله . . و أنت
صوتها يسري في عروقك خدراً
يبدد خجلاً يكبل لسانك
_ أنا الآن في الجنة
_ و أين الأشجار . و الأطيار . والأنهار؟
_ في أعماق عينيك . . جنة لا أطمع في
غيرها .
توردت وجناتها .
متي كان القمر أجمل مافي الكون ! ؟
إنما أجمل ما في الكون . . و جنة رائقة
السمرة . حينما تتورد
إنها إذن . .
أكثر إشراقاً من وردة لثمها الفجر
فترك عليها بصمة نورانية .
همست الفتاة :
_ لماذا لا تدخل إلي ساحة العمارة ! ؟
_ هذه العمارة التي نسكنها . . بها ساحة
تطل عليها نافذة غرفتي . لا يكاد أحد
يدخل الساحة . حتي رواد المقهي . . لا
يلتفتون إليها .
_ مقهي ! ؟
_ أجل . للمقهي باب علي الساحة . .
لكن روّاده لا يعبرون إلا نادراً .
صياحهم يتناهي إليّ . إنهم لا يكفون عن
لعب الورق .
عالم جديد . .
تفتحه الفتاة أمامك يا أحمد .
نشأت و لم تجلس في مقهي .
والدك . سامحه الله _ يعتبر الجلوس في
المقهي . . عيب خاصة بالنسبة للفتيان .
و تحتبس كلماتها في أذنيك . . زيادة في

الطرب ـ الرسالة لم تعجبني .
ـ لم تعجبك ؟
ـ اكتب لي غيرها .
ـ اخشي عليك من الملل .
ـ لن أمل من قراءة ما تكتب .
ثم بعد برهة من الصمت :
ـ آسفة . . خرجت لك في فستان البيت .
و لم أجد وقتاً لتغيره .
و انتبهت إلي فستانها . .
بنفسجي يحمل نقوشاً من خيوط الفضة.
و تقول إنه فستان البيت !
ماذا لو خرجت بفستان العيد !
و ساد بينكما صمت . . حاولت تحطيمه
با لإعتذار :
ـ آسف . . تبخرّت الكلمات . . كنت
أحلم بلقاء معك . . لنتحدث طيلة ساعات
. . و ها نحن قد التقينا ، فخانني اللسان
ـ و أنا كذلك .
و أسعفك اللسان أخيرا . .
ـ وجدي . . أخوك ؟
متنهدة . . قالت
ـ من الأب فقط
ـ و السيدة التي أراها أحيانا في الشرفة ؟
ـ إنها زوجة أبي .
ـ والدتك متوفية ؟
ـ مطلّقة . . طلّقها أبي و تتزوج هذه .

ـ لا حول ولا قوة الإ بالله . . و هل
تعاملك بلطفٍ ؟
ـ لا أكاد أراها تعمل بالليل و تنام بالنهار.
ـ تعمل بالليل ؟ ! . . لعلها ممرضة ! ؟
ـ تعمل في المحل مع أبي و أخي .
ـ محل . . محل يعمل بالليل ! ؟
أجل ملهي ملهي . ال . . . . ألا تعرفه ؟
و حملقت في وجهها بذهول يا أحمد .
والدها صاحب ملهي ليلي . . يعيش علي
الخمر و أجسام الغانيات ،
و زوجة أبيها . . أم وجدي . . تعمل في
الملهي !
هل مازال السلّم تحتك قدميك ؟
أم تراه هوي في زاوية سحيقة من
الأرض ؟
ـ إذن فهي ليست ليبية ؟
ـ إنها من بلد عربي . نشأت في أوروبا ،
و جاءت مع فرقة فنية إلي طرابلس ،
فتعرف عليها أبي و اتفقا علي فتح الملهي .
. ثم تزوجها
و طلق أمي .
مازال الذهول يقوّس حاجبيك و أنت
تسألها :
ـ أولا . . ألا تحنين إلي والدتك ؟
ـ ذهبت إليها مرة بلا إذن . . فضربني
أبي ضربا مبرحا .

اغرورقت عيناها بالدموع
تغلغل حزنها في أعماق أعماقك .
حبيبتك . .
وردة نبتت في الوحل . فهل تدع الوحل
يلوث طهارتها ؟ !
لن تتخلي عنها .
لا شأن لك بأهلها .
ستتزوجها هي . . لا أهلها
تتزوجها ؟ ! !
و من يسمح لك بالزواج منها ؟ !
أوَ تظن أن الدنيا متروكة لأهواء
النفس ؟ !
والدك هذا . .
الذي يردّد دائماً :
نحن قوم لا نملك في الدنيا أغلي من
الشرف .
كيف تقنعه بالزواج من ابنة صاحب
الملهي ؟ !
تبّاً للهواجس .
أبعدها عن رأسك
و تمتع باللقاء .
إن لقاء الأحبة لا يزيد عن اللحظات .
ابتلّت أهذابها الطويلة السوداء .
تناولت يدها في رفق .
ضغطت عليها بكلتا يديك
الحبيبة في خطر
و أنت منقذها
ستنتشلها من الهاوية
مهما كان الثمن .
العقبات .
أسوار من طين
لا تصمد في طريق حب جارف
كالذي يربط بينكما .
ـ أحمد . أنت ياسي أحمد . أحمد !
انتفض من شروده .
والده . .
علي مقربة منه
ـ ينظر إليه باسماً ثم يقول :
ـ ثلاثة أشهر . . غائب عنا و عندما تعود
إلينا . . جسدا ، و تغيب روحا و عقلا . ما
هذا يا سي أحمد ؟
انتصب يسلم علي والده في حرارة .
غمغم اعتذاراً .
و في حسرة قالت أمه :
ـ قبلناه بشروده ، و لكنه لم يرض بنا . إنه
مسافر غداً
ـ إلي أين ؟ !
ـ إلي الصحراء مرة أخري .
ـ لكنك عائد منها اليوم يا أحمد ؟ !
ـ بلغ الحفر منطقة ذات غاز كثيف . .
غير متوقعة ، و لابد أن أشرف عليها
زيادة في الخبرة و تحدياً للإستعمار التقني

ـ وفقك الله يا بني .
تناول طعام العشاء مع والديه
ثم آوي إلي غرفته . .
. . لكن النعاس هجر جفنيه
أخرج من الصوّان صندوقاً صغيراً
رغم السنوات التي مضت . .
. . مازال الصندوق محتفظاً بعبير سميرة
خصلة شعرها . . حريرية ، طويلة عطرة .
منديلها الأبيض . . يحمل قلبين بهما
اسمان :
أحمد . . سميرة .
صورتها
تعكس ابتسامة تزيد مع الأيام إشراقاً . .
و عاودته الذكريات . .
فإذا به يتكيء علي حافة النافذة
نافذة غرفته المطلة علي ميدان الحديقة . .
. . . و إذا به رفيق الليل .
. . باسم ، رغم البرد يا قمر !
كأنك في عليائك تهزأ ، بما يدور علي
الأرض .
شاهد صامت ، باسم ، ساخر مما يحدث
بين الآدميين .
انظر كيف تحديت الشتاء و فتحت
زجاج النافذة لأروي لك ما داربيني و
بينها .
و تقذفني بنظرة العارف بالأمور ؟ !

لا تكابر !
كيف علمت بما حدث اليوم و أنت
المحتجب بالنهار ؟
سحابة تكدر صفوك .
هل غضبت ؟
لا تغضب أيها الصديق
ما قصدت جرح مشاعرك .
سأخبرك بما حدث اليوم . .
جاء وجدي يحمل إليّ منها رسالة
رسالة شفوية تقول : تعال في الحادية
عشرة
ليلا .
لا بد أن تأتي
و ها أنا أناجيك انتظارا للحادية عشرة .
تحذرني أنت
تحذرني . . و أنت الجريء ؟ !
الباحث عن الجمال في كل مكان !
تحذرني و أنت المتسلل من كل ثقب . .
بحثاً عن الرقة .
اشكرك علي اهتمامك
و لكنني لن أصغي لتحذيرك .
ما عدت أخشي الصعود إليها .
تعددت المقابلات بيننا ، حتي صار اللقاء
عاديا ، لا يستوجب كثير حيطة أو حذر
ماذا تقول . .
هذه أول مرة تستدعيك بالليل !

صحيح هذا . . لكنها اكدت أن البيت
سيكون خاليا .
لن يبقي معها غير وجدي . .
والدها . . أخوها . . زوجة أبيها . .
كلهم مشغولون باحتفال رأس السنة في
الملهي .
سأذهب إليها و ليحدث ما يحدث .
ياه ! الساعة تقترب من الحادية عشرة .
إلي اللقاء أيها الصديق . سأروي لك كل
التفاصيل .

●

الشارع خال . .
تجوبه ريح باردة ، تخترق الثياب في
العظام ، ،
و المصابيح خافتة الضوء ، كأنها تغالب
النعاس
و اسنانك تصطك رهبة ، ،
خطواتك رقيقة بالطريق ، كأنها تخشي
إيقاظه
لا ضوء في شرفتها !
هل حدث ما يحول دون اللقاء ؟ !
و تصل إلي نهاية الشارع . . ثم تعود في
صبر و إصرار .
ها قد خرجت سميرة إلي الشرفة . .
أخيراً !
إنها تشير إليك بالصعود . . فاصعد !
لكن . .
حذارِ من إيقاظ الجيران !
الفتاة علي عتبة الباب تنتظرك .
تدخلك إلي الشقة .
تجلس في غرفة الاستقبال
فتقول مبهور الأنفاس :
ـ مساء الخير . . أين وجدي ؟
و تهمس و هي ترنو إليك باسمة :
ـ لقد نام .
سَرَي الدفء في أعصائك .
تبدد اضطرابك .
تفرست في وجهها . .
لطخته بالمساحيق
في عجلة و بلا ذوق
طال الصمت بينكما ، فقامت تطوف بك
في أرجاء الشقة
ـ هذه غرفة أبي
و هذه غرفة وجدي . .
انظر كيف تكوّر تحت الأغطية !
و هذه هي غرفة أخي الأكبر
و هذه غرفتي .
إذن فهي غرفتها :
وردية الجدران
حريرية الستائر
صغيرة الفراش

جميلة الأثاث

ـ من هذه النافذة . . أطل عليك و أنت في الشارع .

و أخرجت من جيبك منديلا ، ثم اقتربت منها في رفق . . و أخذت تمسح المساحيق التي شوّهت ملامحها

ـ سميرة . . وجهك لا يحتاج إلي مساحيق ، فلا تلطخيه بها .

●

فجأة !

تلاحق رنين الجرس .

هوي قلبك في زاوية صغيرة من صدرك .

انتفضت سميرة

ثم تجمّدت أطرافها

شحب لونها .

تلاحقت أنفاسها .

و تواصل رنين الجرس . .

. . . رباه !

أين المفرّ ؟ !

مرتعدة الأطراف . .

. . قالت سميرة :

ـ خبيء نفسك تحت السرير !

احبس أنفاسك !

لا تتحرك !

و تكوّرت تحت السرير يا أحمد . .

. . التصقت بالبلاط رغم برودته

و تعثرت الحبيبة في خطواتها ، و هي تلبي نداء الجرس .

يا ساتر يا رب !

هذا البلاط في برودة الموت

سمومه تتسلل إلي عظامك عبر المعطف و السترة و ال . . .

رباه !

أين المعطف ؟ !

ويحك !

لقد خلعته في غرفة الاستقبال . .

. . تناولته منك سميرة ، و وضعته فوق أريكة !

افتضح أمرك فاستعد للهلاك .

أحذية ثقيلة تقرع أرضية الشقة .

أصوات غليظة ،

حادة النبرات تتردد :

ساعة و إنا أدق الجرس !

كيف لا تفتحين ؟ !

ـ كنت . . كنت نائمة .

ـ أين وضع أبوك صندوق (الشمبانيا) ؟ جئنا لأخذه .

تفضل يا فوزي ! ادخل !

أين الصندوق ؟

ـ لست . . لست أدري .

ـ ما بالك ترتجفين هكذا !!؟

ـ إنه . . إنه البرد .
ـ لعل الصندوق في غرفة الاستقبال .
ـ لا ! لا ! لا . . ليست بها صناديق !
ـ إذن فلابد أنه وضعه في المطبخ .
ـ ربما .
واجف قلبك .
مرتعشة أطرافك .
فاغر فاك حتي لا تصطك أسنانك .
متصبب جبينك عرقا في برودة الثلج .
يالورطتك ياأحمد !
و يرتفع الصوت الحاد من جديد :
ـ لم أجده في المطبخ .
ـ انظر . . انظر في غرفته .
ـ في غرفته .
و هل إنسان في الدنيا يضع (الشمبانيا)
في غرفة نومه !
و ارتفع صوت غليظ أجش :
ـ لا تنسي أن والدك يحب (الشمبانيا) !
ـ ليس إلي هذا الحد . . ثم أنه استحضر
هذا النوع الفاخر من فرنسا خصيصا من
أجل الصفقة ؟ !
ـ الصفقة !
أية صفقة ؟
ـ أصبحت فردا من هذه الأسرة . . لكن
أجمل ما فيك أنك مازلت غبياً
ـ جديّات . . ما حكاية هذه الصفقة ؟ !

ـ ألم تر مع زوجة أبي ضيوفا ؟ !
ـ أري علي مائدتها ضيوفا كل ليلة .
ـ ضيوف الليلة من نوع خاص !
ـ فهمت دخلوا الملهي و جيوبهم تتفتق
بالجنيهات .
ـ أبداً . . بل دخلوا دون أن يدفعوا ثمن
التذاكر .
ـ لم ؟ هل كان بينهم (قبضي) ؟
لماذا لم ترسل في طلبي . . كنت رفستهم .
كنت شرحتهم !
لكن ملحوقة . . هيا بنا !
سأجعلهم يندمون علي مجيئهم إلي الدنيا .
ـ علي رسلك . الأمر ليس كما تتصور . لم
يدخلوا مجانا . .
بالإكراه ، بل بالإستدعاء .
ـ ياه !
أوَ يكونون خطرين إلي هذا الحد ! ؟
كيف لا أراهم أو اسمع عنهم من قبل !
ـ أنت لا تسمع إلا عن (القبضيات) . .
الموضوع و ما فيه . .
أننا استدعيناهم من أجل الفندق .
ـ الفندق !
أي فندق ! ؟
الذي سنستأجره اعتبارا من السنة
الجديدة .
ـ آه . . فهمت !

ثم أصحاب الفندق إذن ! ؟
ـ ألم أقل لك أن أجمل ما فيك . . أنك
مازلت غبياً .
ـ أعيتني الحيلة . . اشرح لي.
ـ الفندق للبلدية . . و سنستأجره لإيواء
الفنانات و الراقصات و العازفين ، فنوفّر
بذلك مبالغ طائلة ندفعها كل شهر
ـ و ما هو شأن هؤلاء ؟ !
ـ هم الذين سيجعلوننا نفوز بعطاء
الفندق .
ـ إنهم إذن من . .
ـ بيّات ! كبراء !وجهاء و بس
ـ أما لو فزنا بالعطاء ! إذن لراقبت (
الارتيست) و لنا تركت واحدة منهن
تعمل من ورائنا .
ـ مسكين أنت . العطاء في جيبنا . .
هيا تأخرنا .
أين الصندوق ؟
قالت في غرفة أبي هذا مستبعد .
ـ لن تخسر شيئا لو ألقيت نظرة .
ـ و هو كذلك
ألا ينشق هذا البلاط . . فيبتلعك يا
أحمد !
ها قد عاد أخوها يصيح في حدة :
ألم أقل لك إن الصناديق لا توضع في
غرفة
النوم !
سأبحث عنه في غرفة الإستقبال .
ماذا تفعلين يا بنت ؟ !
ما بالك تتسمرين هكذا ؟ !
تحركي !
دعيني ادخل !
ـ قلت لك إن الصندوق ليس . .
ـ مش شغلك اذهبي إلي غرفتك و نامي !
يارب !
أعمي بصره و بصيرته .
إخفِ عنه المعطف !
ها قد جثم الصمت . . . . ثقيلا
مريرا
صاخبا في الأذنين
يعتصر الحلق
و يكتم الأنفاس .
ثم ارتفعت النبرات الحادة من جديد :
ـ ألم أقل لك أنه لابد و أن يكون في
غرفة الإستقبال ، هذه البنت عمياء .
ـ أعذرها . . لقد أيقظناها من نومها .
ـ هيا يا فوزي . .
تعال نحمل الصندوق
لقد تأخرنا كثيراً
ـ يا رجل . . لن يسأم الضيوف من
الجلوس إلي زوجة أبيك .
يا رب .

يا رب !
لحظات أخري من التوفيق .
لحظات فقط !
ـ ما هذا ؟ !
لمن هذا المعطف ؟ !
ـ لا . . لا أدري
ـ الصندوق ليس في غرفة الإستقبال . .
هيه !
كنت تبعدينني عنها حتي لا أري
المعطف .
و صفعها في عنف ،
فاختلط نحيبها بصياحه .
ـ لمن المعطف ؟ تكلمي !
ـ لا أدري . . . لا أدري .
ما أن نخرج حتي تدخلين الرجال !
أيتها الفاجرة . . سأقتلك !
ـ ما هكذا يا فتحي . ما هكذا !
لقد أدميت وجهها .
مهما يكن فهي أختك الوحيدة .
ـ لن أتركها حتي تقول لي اسم صاحب
المعطف . تكلمي ،
نحيبها يمزّق أحشاءك .
لطماته . . طعنات خنجر في صدرك
و صوت الباب و هو يقفل . . فضاء مبرم
عليك .
ـ ترفضين الإعتراف !

حسن
سأجده !
سأجده المجرم ،
و سأشرب من دمه أمامك !
فوزي . .
فتش الغرفة !
ابحث في كل مكان !
لابد أن نعثر علي صاحب المعطف !
رحمة يالحبيبة ،
رأفة بوالدك ، صاحب السمعة الطيبة . .
يجب أن تخرج من تحت السرير ، و
تقذف بنفسك من النافذة !
تحرك قبل فوات الأوان !
و تسللت من تحت السرير يا أحمد . .
و فتحت النافذة
صفعتك ريح باردة .
الأرض بعيدة ، بعيدة . .
لكن الخطر قريب ، قريب
ضع رجلك علي حافة النافذة . . .
أجل هكذا . .
ارفع جسمك ، اقفز !
إذا وقعت علي الأرض
و لم تتحطم ضلوعك
و لم يتهشم رأسك . .
وصلت سليما
و ليحترق المعطف .

لكن قبضته من حديد . .
تشدك من ظهر سترتك .
ترفعك بعنف
فإذا بك منتصب علي قدميك
لاهثا
مرتجفا
زائغ النظرات . .
. . تدير وجهك إلي الخلف في حذر و
استعطاف .
عينان حمراوان . .
يتطاير منهما الشرر
جبين عريض . .
كأنه منحوت في الصخر
ملامح غليظة . .
قاسية ، بشعة كالموت
و صوت أجش يصيح :
ـ فتحي !
تعال يا فتحي . . لقد وجدته .
ـ وجدته !
أين وجدته ! ؟
هنا . في غرفة أختك .
كان يحاول القفز من النافذة . .
لكنني أمسكت به في الوقت المناسب .
و سلّط عليه أخوها نظرات في حدة
الرصاص .
جرّك في عنف إلي بهو الشقة
و هو يصر علي أسنانه صائحا :
ـ إذن فهو أنت صاحب المعطف ؟
ماذا كنت تفعل هنا ؟
كيف تدخل بيوت الناس هكذا ؟ !
نظراتك تستعطفه .
حلقك جف
دموعك بعد حين ستهطل
لكنه لا يرحم .
ها قد صفعك علي وجهك في عنف .
سال الدم من فمك
لكنه لم يكتف بذلك . .
كوّر قبضته .
رفعها
قذفك بها
فاشتعلت نجوم في عينك اليمني
ثم اشتعلت نجوم مماثلة في عينك اليسري
و تناهي إليك رغم ذلك صياح :
ـ تدخل بيوت الناس يا مجرم ! خذ !
ـ أوَ يكون أمثالك من الرجال الذين
يدخلون البيوت ؟
خذ !
ـ دمك لا يشفي غليلي .
ـ ليتك بسبعة أرواح ، إذن لقتلتك سبعة
مرات .
و اختلطت الأصوات في أذنيك يا أحمد
تحولّت إلي كرة ، يتقاذفها فتحي و فوزي

باللكمات
و سري خدر الغيبوبة في أعضائك
فلم تعد تشعر بعنف الضربات
ما عدت تسمع غير أصداء اللكمات .
و انقطعت الأصداء فجأة
فتناهي إليك صوت غائر
بعيد . .
كأنه يأتي من قاع بئر :
ـ كفاه ما أخذ يا فتحي
ـ سأشرب من دمه !
ـ قد يموت بين أيدينا ، فيحاسبنا عليه
القانون .
ـ لن أعتقه !
ـ إنه يموت !
ـ لن أدعه . خذ !
ـ ياه . أنت مصمّم علي ارتكاب جريمة .
ـ دعني أشرب من دمه !
ـ اعقل يا فتحي !
انظر كيف تهالك علي الأرض و هو
ينزف دما من كل جانب !
ـ سأقتله ! اتركني !
ـ نحن لا نعرف من يكون !
ـ سافل !
ـ منحط !
و أنت أيتها الفاجرة . .
تدخلين الشباب إلي البيت ! ؟
سأذبحك !
ـ دع سميرة الآن
و لنتخلص من هذا الجسم الدامي قبل
أن تفارقه الحياة
ـ نتخلص منه !
كيف نتخلص منه !
سندخله السجن !
لابد من حبسه !
ـ نحن الذين سندخل السجن
ندخل السجن
ـ ندخل السجن !
نعثر علي غريب في شقتنا . .
. . ثم ندخل السجن ؟ !
أي هذيان هذا ؟ !
لابد من تسليمه إلي الشرطة !
ـ و ماذا ستقول للشرطة
ـ سأقول . .
سأقول أننا وجدناه في البيت .
ـ و ماذا كان يفعل في البيت ؟
ـ كان . . كان . .
أنت أعلم بما كان يفعل !
ـ أنا أعلم لكن الشرطة لا تعلم .
ـ يعني ، لا نسلمه إلي الشرطة خوفا من
الفضيحة !
ـ و من التبعات القانونية .
ـ أجل . . لقد ضربناه ضربا مبرحا .

ـ أكان ينبغي أن نستقبله بالأحضان ، و نسقيه مشروبا ، حتي ترضي أنت وشرطتك ؟ !

ـ لا تنس أنه دخل البيت عن رضي من أهله ! ؟

ـ عن رضي من أهله

ـ أو من بعض أهله . . ألم تدخله سميرة ؟

ـ المجرمة الفاجرة ! سأذبحها !

ـ لا داعي لذلك .

ـ بل لابد من ذبحها !

لوثت سمعتنا .

لطخت شرفنا .

هذه المجرمة يجب أن تتزوج فورا !

اصبت .

ـ لكن أي رجل سيرضي بها و هي الملطخة ؟ !

ـ موجود .

ـ أنت تجاملني لن يرضي بها أحد .

ـ أنا راضٍ بها .

ـ أنت ؟ !

أجل . . أنا .

ـ بعد كل ما رأيت ؟ !

ـ لم يحدث شيء علي الإطلاق . . ثم إن اللحم إذا أصابه التلف .

لا يأكله غير أهله . ألست بعد واحداً من الأسرة ؟ !

ـ بلي . . لكن . .

ـ لكن ماذا ؟

لأنني عامل عندكم ! ؟

ـ أبدا أبدا يا فوزي . .

لكن . .

ـ ماذا أيضا ؟

لأنني تجاوزت الأربعين

و سميرة دون العشرين ! ؟

ـ لا . لا . لا . هذه أمور لا نلتفت إليها .

لكن . . المشكلة يا فوزي . .

كيف أقنع والدي بالموافقة علي زواجك من سميرة ؟ !

ـ بسيطة :

ـ أطير إليه فأحضره ليري المشهد الذي رأيته أنت .

ـ فكرة لكن . .

لكن ماذا أيضا ! ؟

ـ لعل هذا الضائع يموت قبل أن نتخلص منه ؟ !

ـ إطمئن .

لن يموت إذا لم تعاود ضربه .

ـ متأكد ؟ !

ـ أنا خبير بهذه الأمور .

كثيرا ما أضرب المعربيدين في الملهي

و لم يسبق لأحد منهم أن مات بين يدي .

ـ اذهب إذن . . و عد سريعا بوالدي !

و عاد الوحش بوالدها يا أحمد . .
و أنت مازلت كتلة دامية ، ملقاة علي
الأرض .
و ركلك من كنت تنوي مصاهرته . .
ركلك في بطنك بعنف
حتي تكوّرت من الألم . .
و بصق علي وجهك و هو يرغي و يزيد :
ـ ابن من هذا الكلب ؟
ـ لعل سميرة تعرفه ؟
ـ أين هي ؟
ـ تعالي هنا أيتها الفاجرة !
كيف تفعلين أشياء كهذه ؟ !
طالعة لأمك .
ابن من هذا الكلب ؟
أجيبي !
ـ لا . . لا أعلم . .
ـ تدخلين شابا إلي غرفتك ليلا ، و لا
تعرفين ابن من هو ؟ !
هل بلغتِ من البغاء درجة تلتقطين معها
كل عابر سبيل ! آه .
يا مجرمة !
ـ اسمه . . اسمه أحمد
ـ أحمد من ؟
أجيبي !

ـ هذا كل ما أعرفه .
ـ لي حساب معك طويل .
أحبسها يا فتحي في غرفتها !
آه . يا فوزي . . لقد حطمتني هذه المجرمة
ـ لا تحمل همّا يا (عرفي) . كل شيء
يمكن إصلاحه .
ـ إلا هذا الشيء . . كالزجاج ، إذا
تهشّم
ضاع .
ـ لم يضع شيء .
ـ أنت تهوّن عليّ . من الذي سيتزوج
بنتاً كهذه ؟
ـ أنا
ـ أنت ؟ !
ـ أجل (يا عرفي) . . إذا تكرمت
بالموافقة .
ـ فوري كيف أشكرك !
ـ العفو يا (عرفي) . . نحن لبعضنا .
ـ آه . لقد أزحت غمّة كادت تخنقني .
لكن . .
ماذا سنفعل بهذا الكلب
و دماؤه تنزف
ـ دع ذلك لحسن تدبيري .
ـ ماذا ستفعل به ؟
ـ لا تشغل نفسك به يا (عرفي) .
عد إلي الضيوف الكبار لإتمام الصفقة

و سأعرف كيف أتصرف .
ـ كن حذراً !
لا أريد مشاكل .
ـ يا (عرفي) اطمئن
خذ الصندوق معك ، و سأتولي أنا
الموضوع بمساعدة فتحي .

●

و أنزلوك من بيت الحبيبة يا أحمد . .
دامي الجسم
فاقد الوعي .
وضعوك في مقعد خلفي .
انطلقت بك السيارة
و هو يفتح
و علي قبضة تجذبك من سترتك في عنف
و تقذف بك أرضا .
بين الحياة و الموت . .
تركوك في غابة قريبة من المدينة .
في الهزيع الأخير من الليل . . استفقت .
سالت قطرات الندي علي وجهك . .
رطبت جراحك
رفعت أهدابك .
لم تعِ في البداية ما حدث .
بعد برهة من الذهول . . تذكرت
في مشاهد بطيئة . .
استعدت ما مر بك :

الأحضان الدافئة
و الرعب المفزع
والعلو الشاهق
و القبضة الحديدية التي أعادتك إلي
الجحيم
ثم اللكم الوحشي
و الصفقة الفظيعة التي أُبرِمت .
ضاعت سميرة
و كادت حياتك أن تضيع معها .
النجوم في كبد السماء متلألأة .
السحب السوداء التي تزحف عليها . .
كأنها الوحش
ينقض علي فريسته .
حفيف أوراق الغابة . .
وسوسة الشيطان
تدعو إلي الإنتقام ، إلي الثأر ، إلي البطش .
دموعك المنسكبة ، ،
قطرات من ماء النار
تحفر في وجهك الجداول
و تنحت في قلبك الضغينة .
و تتحامل علي نفسك يا أحمد . .
و تعود مترنحا كالذبيح
من الغابة المتوحشة البعيدة
إلي بيتك في ميدان الحديقة . .
و عبرات المظلوم تخنقك
فتفجّر في العينين ينابيع من الدموع الحارة

●

ضربوني
أذلوني
بالأحذية سحقوني
حاولوا انتزاع حبها من قلبي . .
. . . و ظل حبها يخفق بين الجوانح .

●

ها قد تسللت في حذر إلي غرفتك .
و بدأت تضمد جراحك .
تري . .
ماذا ستقول لوالديك
و لأصدقائك . .
عندما يسألونك عن آثار اللكمات ! ؟
_ احميدة !
بسم الله الرحمن الرحيم . .
ما الذي أصابك يا بنّي ؟ !
_ سيارة . .
_ سيارة !
سيارة يا أمّاه
يا ساتر يا رب .
هل أنت بخير يا غالي ؟ !
متي و أين حدث ذلك ؟ !
_ البارحة . .
البارحة و أنا عائد من بيت علي ، حيث
أذاكر كل ليلة _ و لماذا لم توقظنا ؟ !
تصاب بالجروح و نحن نغط في النوم !
_ ماجدوي إزعاجكم . .
_ إزعاجنا !
و تسمي هذا إزعاجا !
علي الأقل . . كان والدك عرف شغله
مع السائق .
_ لا داعي لذلك .
لابد من معاقبته !
طيح و الله سعده .
يصدم ابناء الناس . . و يترك !
لم يبق غير هذا .
_ الأمر بسيط . .
_ كيف تقول بسيط و وجهك كالعجة ؟
_ الذنب ذنبي .
_ ذنبك ؟ !
_ كنت . .
كنت أمشي في عرض الطريق
_ و لو . . كان ينبغي عليه أن ينتبه .
لماذا خلق الله له عينين
_ حدث ما حدث و السلام.
_ أنت يا من حول وجه ابني إلي عجة . .
رزقك الله بمن يقلب سيارتك إلي عجة .
دعوة صادقة في يوم جمعة !

●

و اندملت الجراح يا أحمد . .

و اختفت آثار اللكمات . .
. . لكن نار الإنتقام في صدرك
ازدادت مع الأيام توهجاً .
ضربوك
أذلوك
بالأحذية سحقوك . .
. . فهل تتركهم بلا عقاب ؟ !
الثأر . .
لا بديل عن الثأر !
لكن . .
كيف الثأر
و أنت نحيف الجسم رخواً ! ؟
كيف السبيل إلي الإنتقام ! ؟
إنهم أقوياء
جبابرة
لا يحول بينهم و بين ما يبتغون ضمير .
ضربوك
أذلوك
بالأحذية سحقوك . .
. . نار الثأر مع الأيام تتأجج
ستنتقم منهم !
المسدس !
المسدس يا أحمد . .
هو الذي سيطفيء نار الثأر في سصدك .
مسدس والدك . . أجل !
ستجده منزويا في أحد الأدراج
و إلي جواره الرصاص متناثرا .
رصاصة لفوزي
و رصاصة لفتحي
و رصاصة لوالدها . .
من كان سيصبح
في يوم من الأيام
عمك .
ما بالك قد سبّقت فوزي عن الآخرين ؟!
آ لأن لكماته قد آلمتك أكثر من
لكماتهما ؟ !
أبداً .
بل إن فتحي هو الذي وسعك ضربا .
و والدها . .
هو الذي ضربك بالحذاء في بطنك
و أنت طريح الأرض تنزف دماً .
أ لأنه . .
لا ! لا ! لا . .
أغير منه علي سميرة ! ؟
أبداً . .
لا يمكن أن تحب سميرة كهلاً في سن
والدها . . دنيء
جلف ، غليظ الطباع .
أنت تحقد عليه إذن لأنه فاز بها .
خطفها منك .
انتزع من أهلها موافقتهم علي الزواج
منها .

هل تراه يحبها فعلا ؟ !
مستحيل !
هذا النوع من البشر لا يعرف الحب .
الحب رقة ، و رحمة ، و لطف .
الحب عفة ، و طهر ، و شرف .
الحب . . تهذيب للغرائز
و سمو بالأخلاق
و سيطرة علي الشهوات .
لماذا سعي إلي خطفها إذن ! ؟
و هل يسعي أمثاله لغير المال ؟ !
والدها . .
صاحب ثروة
تتضاعف بسرعة مذهلة .
أية تجارة أوفر من جسد غانية ، و زجاجة
خمر في مجتمع منحل سرت فيه الفواحش!
و فوزي . .
يساهم في جمع الثروة
و لا ينال غير الفتات . .
فضلات المائدة
ما يجود به السيد عليه .
أمّا الآن . .
و قد فاز بسميرة
فقد أصبح شريكا في الثروة .
لم يعد خادماً ، تابعاً .
أصبح سيداً ، نسيباً .
ستنتقم منهم !
ستنتقم !
إلي المسدس !
إلي المسدس !
لكن . .
هذه الرغبة الجارفة في الإنتقام . .
. . ألن تعوق دراستك ؟ !
منهج التوجيه طويل
معقد
و شهور معدودة تفصلك عن
الإمتحانات . .
فإما الشهادة . .
أو الا نتقام
الا نتقام أم الشهادة . .
الشهادة أم الا نتقام ؟ !
آثار اللكمات . .
مازالت ظاهرة في أماكن متعددة من
جسمك ، و الشارع الذي تسكن فيه
سميرة . .
لم تعد قادراً علي عبوره . . خزياً ، و عاراً
تحوم حوله و لا تقوي علي عبوره .
تري . .
كيف تواجه سميرة ظروف حياتها
الجديدة
لا شك أنها تتألم
تتعذب
تنصهر شوقاً كانصهارك .

حبيبتي يا سميرة . .
لماذا تزرع الأقدار أشواكاً بين المحبين ؟
ما بال الحب لا يكتسح كل الحواجز ؟
لكن الحب رقة . .
و الرقة أمام الحواجز مستسلمة ،
يائسة ، عاجزة .
أبداً لن يستسلم من في قلبه نار تتأجج !
الانتقام ! الانتقام !
في هذا الدرج . .
يضع والدك المسدس .
ها قد أمسكت به بين أصابعك .
إنه في برودة الموت :
فوّهته . .
صغيرة
مستديرة
فاغرة
سوداء كالفناء .
الويل لكم !
. . لكن بين أصابعي أداة للموت !
ضغط علي الزناد . .
كفيل بصرعكم !
أيها الطغاة . .
. . ما أتفهكم !
رصاصة في حجم النواة . .
. . كفيلة بالقضاء عليكم .
و رغم ذلك . .
تتعاظمون
تتكبرون
تسحقون ضعيفا وضعته الأقدار تحت
أقدامكم .
كم من جبار طغي . . ثم هلك .
كم من ظالم استبد . . ثم اندثر .
مازلت نحيل الجسم . . لكن المسدس
في يدي .
الانتقام !
الانتقام !
الثأر ! الثأر !
لكن . .
هل تراني قادراً حقاً علي إطلاق
الرصاص ! ؟
إطلاق الرصاص علي إنسان ! ؟
دماء البشر عندما تسيل . . ما لونها ؟ !
ألا يُفزع منظرها ؟ !
و الروح . .
و هي تفارق الجسد
ألا تحدث فيه رجفة ؟ !
و الموت . .
و هو يرتسم علي الملامح
ألا يقلصها في بشاعة ؟ !
مستحيل !
مستحيل أن تفلح في إطلاق الرصاص
علي

إنسان .
لكن . .
لكن نار الحقد في صدرك تتأجج !
و ألف صوت يهتف بك . .
انتقم !
خذ بثأرك !
ألا . .
ألا توجد طريقة أخري للانتقام . . لا تزهق فيه الأرواح ؟ !
لابد و أن هناك طريقة .
لكل هدف . .
سبل عديدة توصل إليه .
هم مثلا . .
كيف بطشوا بك ؟ !
ضربوك . .
ثم بالأحذية سحقوك .
فليكن انتقامك منهم . . بالضرب !
كيف تضربهم . .
و أنت نحيف الجسم رخواً ؟ !
و التمعت في ذهنك فكرة يا أحمد . .
أضاءت دياجير اليأس ، كأنها
الأمل .
أجل . .
ثمة سبيل آخر غير القتل .
مثلك لا يلطخ عفته بدمائهم الملوثة .
علي مقربة من بيتك . . نادٍ للملاكمة
من الآن . .
ستهرع إليه .
هو الذي سيقلب ضعفك قوة !
هو الذي سينزع منك النعومة و الرقة !

●

هأنت تواظب علي تمارين الملاكمة يا أحمد . .
برغبة صادقة
تثير إعجاب الممرن
فيقول لك :
_ لم أصادف مثلك مواظبة .
إذا واصلت التمارين علي هذا النحو
اشركتك في الحفلات التي ستقام بعد شهر !
و انصرم الشهر و أنت علي مواظبتك .
و لبست القفاز
و دخلت الحلبة
و تمرنت مع زملاء فأظهرت تفوقا
و أخذت تستعد للإشتراك في حفلات الملاكمة
لكن والدك اعترض حانقا :
_ ما هذا العبث ! ؟
شهر واحد يفصلك عن الإمتحان . .
و أنت تبعثر وقتك في النوادي !
انتبه لمذاكرتك

و اترك اللعب للعيال و التافهين !
و واظبت علي التمارين رغم ذلك
و أهملت مذاكرتك يا أحمد .
دخلت الإمتحان . .
و إمتحانك الحقيقي في الحلبة
و ليس في الفصل .
كان والدك ملهوفاً ، يسأل كل يوم :
ـ هيه ! أخبرني . .
هل أجبت كويس اليوم ؟ !
ـ أجبت .
ـ كلما سألتك تقول أجبت
إذا ضاع مستقبلك
فالفضل يعود إلي هذه الملاكمة التي
ابتلاك الله بها .
و نجحت في الإمتحان يا أحمد . .
. . امتحان الملاكمة
صمدت في الحلبة .
لم تعد ضعيفاً ، رخواً
وجهت لخصمك ضربات عنيفة .
تمكنت من إسقاطه بالضربة القاضية في
الجولة الرابعة .
و لم تنجح في الإمتحان يا أحمد . .
إمتحان إتمام الدراسة الثانوية .
أرغي والدك و أزبد :
بح صوتي في تنبيهك .
دع الملاكمة تنفعك الآن .

بأي لغة تفهم ؟ !
لعلك تريدني أن أخاطبك بلغة الأطفال .
. بالضرب .
الضرب . .
آه لو تعلم الحقيقة يا والدي
إذن لعذرتني .
لن أذوق طعم الراحة
حتي أنتقم منهم . . بالضرب !
سأنجح في الدور الثاني .
ـ هذا بعيد الإحتمال
إنهما مادتان رياضيات و كيمياء .
ألا تعقل ذلك ؟
و تتخشّع كالطفل المذنب يا أحمد ،
ثم تخرج إلي هناك . .
إلي شارع الحب
شارع الإنتقام .

●

شرفتها صامتة ، موحشة . .
لمن تخرج و قد هجرت الشارع ؟ !
ستائر من حرير . .
تحجب نافذتها المطلة علي الساحة .
و جلست في المقهي يا أحمد . .
تتصيّد أخاها وجْدي .
نظراتك حادة
قبضتك حديدية .

جلستك فيها قوة .

هيأتك تفيض منها الثقة بالنفس .

●

و طال بك الإنتظار يا أحمد .

لم يظهر أخوها .

لم تخرج إلي الشرفة .

لم تنظر إلي النافذة .

لكنك مصمم علي لقائها !

هأنت ترقب في الظلام خروج أهلها إلي المحل . .

لتتسلل صاعداً إلي الشقة . متي عرفت الخوف و القلق ؟

إنك لا تذكر .

تحركت السيارة .

صعدت أنت درجات السلم .

التقطت أمام الباب أنفاسك .

ضغط إصبعك علي الجرس . .

و تلاحقت دقات قلبك !

سميرة تقترب من الباب .

تقول في صوت منغم :

_ فوزي !

لا تعد بسرعة هكذا كل يوم . .

شهقت عندما رأته .

احتبست الكلمات في صدرها .

بهتت الابتسامة علي شفتيها .

طال الصمت و الذهول فقلت :

_ سميرة !

هذا أنا يا سميرة !

رباه !

أين دموع الفرح ؟ !

أين سعادة اللقاء بعد الفراق ؟ !

أين حرارة الأشواق ؟ !

أين . .

ماذا أري ! ؟

في كابوس أنا و رب العزة !

لقد تماسكت بعد المفاجأة .

أخذت تقذفك بنظرات غاضبة

ملتهبة

حانقة

_ سميرة !

أنا أحمد . .

ألا تعرفيني ؟ !

_ ماذا تريد ؟

جئت . . جئت . .

_ لماذا جئت ؟

_ أهذا ما تجدينه للترحيب بي ؟ !

_ لست علي استعداد للترحيب بك .

_ سميرة . .

ماذا فعلت حتي استحق غضبك ؟ !

_ ماذا تريد ؟

هذه الصيحة الحانقة

هذه النظرة الشرزة .
هذا الوجه القاسي
هل هذه سميرة التي ضحيت بكل شيء
في سبيلها ؟ !
ـ لا أصدق ما أسمع !
سميرة . .
لقد أمضيت شهور الفراق في تمرينات
شاقة مستمرة . .
لأقف أمامك بلا خوف أو وجل .
سميرة . .
أمامك ضربوني
أذلوني
بالأحذية سحقوني .
حاولوا إنتزاع حبك من قلبي . .
لكن حبك ظل يخفق بين الجوانح .
سميرة . .
من أجلك أهملت دروسي .
لم أنجح في الإمتحان .
لكنني اكتسبت القوة
اصبحت قادراً علي قهر الظلم
علي ردع البطش .
سميرة . .
لن يخطفك مني فوزي .
إذا جاء الآن ضربته .
أنا الآن قادر علي ضربه يا سميرة !
ـ فوزي اصبح زوجي !

جف نبع الكلمات في حلقك .
اعتصر الحزن قلبك .
شل الذهول تفكيرك . .
. . فهتفت بلا وعي :
ـ ماذا تقولين ! ؟
ـ عُد من حيث أتيت .
فوزي زوجي و لا أريد له بديلا .
و عاودتك حمي الحب و الانتقام يا
أحمد . .
ـ أرغموكِ . . أليس كذلك ؟
الوحوش !
الظلمة !
سميرة . .
حبيبتي
لا تيأسي . .
اصبحت قويا .
ما عدت أخشي بطشهم .
سأخلصك .
اطمئني . .
لن أدعك إلي العذاب .
ـ و من قال لك إنني في عذاب ؟
تزوجت فوزي
و لا أريد له بديلا .
لا تعد ثانية إلي هذا المكان ،
و إلا استعنت عليك بالشرطة !
توارت خلف الباب .

أغلقته في عنف ، و هي تصيح :
ـ ما هذه المصائب التي لا تستريح و لا تريح !

●

كم مضي عليك من الوقت
و أنت في ذهولك . .
منتصب أمام بابها ؟ !
إنك لا تدري .
أصابك الدوار .
اسندت ظهرك إلي الجدار . .
ثم أخذت تنزل درجات السلم
و كأنك تنزل إلي أعماق الجحيم .
ابتلعك الشارع
غمر الظلام كيانك .
شهور عديدة . .
و أنت تترقب لحظة
و حانت اللحظة
فأطفأت نور الأمل في قلبك .
مرارة الخيبة كالحنضل يا أحمد . .
و الحياة ليل دامس
و الطريق أشواك دامية .
ماذا بقي لك ؟
ضاعت الحبيبة .
انطفأ الأمل .
تلطخت الكرامة .
فشلت في الإمتحان . .
. . أية فرحة ستحملها الأيام ؟ !
ما بقي غير اليأس
و الفشل
و المرارة
و الخيبة . .
التي تجترها ، ثم تجترها .
عمر طويل ياأحمد
طويل . .
كل ثانية فيه
بدهر من العذاب و الشقاء
ما بقاؤك في الدنيا ، و بهجتها قد ضاعت ؟ !
ثم إن مثلك لا يصلح للحياة .
. . لماذا خلقني الله إذن ؟ !
خلقك لكي تكون قويا ، ناجحا ، سعيدا .
لكنني ما اخترت الشقاء ؟ !
فيما أنت حانق عليّ إذن أيها الهاتف في أعماقي ؟
أنت فاشل !
فاشل !
فاشل !
في الحب فاشل .
في الدراسة فاشل .
في الإنتقام فاشل .
في الحياة فاشل .

حقير ! حقير !

تافه ! تافه !

●

جرّ أحمد خطواته المتثاقلة إلي أن وصل
إلي غرفته فتهالك علي
فراشه ، و راح في غيبوبة كالنعاس و
عندما دخلت عليه أمه في
اليوم التالي :
لم يستجب لندائها
فخرجت تولول و قد أصابها الفزع .
اسكتها زوجها ناهراً :
_ ما الذي حدث ؟ !
أحمد . .
أحمد مريض جداً .
إنه في غيبوبة .
انقله حالا إلي المستشفي !
انقذه . .
انقذه من الموت !
الله أكبر . . الله أكبر . . لا إله إلا الله .
حي علي الصلاة حي علي الفلاح . .
قد قامت الصلاة
الله أكبر . .
الصلاة خير من النوم .
ثقيلة رأسك يا أحمد
خائرة قواك
ضعيفة أنفاسك ، ،
و آذان الفجر ينسكب ممتزجا بخيوط
الفجر .
عبرت نظراتك زجاج النافذة .
البحر . .
صفحة رائقة الزرقة تجوبها قشعريرة ،
كلما قبّلها خيط من خيوط النور .
السماء . .
بنفسجية
صافية
هادئة
تشع نورا .
العصافير
في مرح تغرّد
تسبّح بحمد من مزّق دياجير الليل بفجر
جميل ، جميل .
ما أعذب الإيمان يا أحمد !
إنه سكينة في النفس . .
ثقة
ابتسامة
هدوء
تعقّل
إقدام
إصرار
نجاح . نجاح
الدموع تنسكب من عينيك . .

إنها دموع الندم
تتدحرج علي خديك ..
محمّلة بأشلاء الصدمة .
الله رحيم بك ، رحيم .
انظر إلي صدرك !
ها قد شفاه الله من أدران الحقد ،
و الإنتقام
و التمرد
طريقك أصبح مرسوما يا أحمد :
سكينة
ثقة
إصرار
نجاح
و عكفت علي الدروس تطالعها ..
شغوفا
ملهوفا
و فزت بالتوجيهية
و لازمك النجاح حتي تخرجت .

●

عرض شريط الذكريات آخر صورة يا
أحمد ..
هأنت تعيد إلي الصندوق كل ما بقي
لديك من سميرة
خصلة شعر
عطرة رغم السنين ..
و منديل يحمل اسمين
أحمد .. سميرة

●

إنصرمت دقائق من يوم الفاتح من
سبتمبر .
مازال الفجر بعيدا
و النوم لا يراود جفنيك .
لعل جولة بالسيارة ..
كفيلة بتسليتك .
الشوارع خالية
صامتة
آلاف النجوم تزيّن السماء
و ضوء المصابيح ..
يفر مذعوراً من دويّ المحرك .
و ارتفع قدمك عن الدائس:
امرأة علي الرصيف
تشير عليك بالتوقف .
ماذا تصنع وحيدة في محطة للحافلات ..
و الحافلات تلتمس قسطاً من الراحة
قبل أن يهلّ عليها يوم مشهود .
ضغط قدمك علي الفرامل .
توقفت السيارة .
اقتربت المرأة .
فتحت الباب .
جلست إلي جوارك .

أغلقت الباب .
قالت :
ـ مساء الخير .
و أنت تضغط علي الدائس ، قلت :
ـ بل صباح الخير .
لقد انتصف الليل منذ أكثر من نصف
ساعة .
في نبرات تنمّ عن التعب . . قالت :
ـ صباح ، مساء . . كله واحد .
و سألتها يا أحمد :
ـ إلي أين نذهب ؟
ـ هل لديك بيت ؟
ـ به والدي و إخوتي . . و بيتك أنتِ ؟
ـ أسكنه مع أمّ ضريرة و أطفال ثلاثة ، و
زوج يأتي حيناً و يغيب أحياناً .
ـ إذن فليس أمامنا غير الغابة . .
نبحث عن غابة .
ـ أفضّل شاطيء البحر .
الجوّ حار ، و نسمات البحر منعشة .
توجه بنا إلي شاطيء خال .
ـ حاضر .
ـ علي أن تعود بي قبل الفجر !
ـ حاضر .
و ساد بينكما الصمت . .
فتناولت يدك
أخذت تعبث بأصابعها . .

أناملها ناعمة ،
بارعة في إثارة الغرائز . .
لكنها بارعة الإحتراف
فيها دقة
و إصرار
و آلية
مسكينة أنت أيتها المرأة . .
بائسة شقية .
في الليل
و الناس نيام . .
تتسللين إلي الرصيف
تعرضين عليه جسدك . .
عله يجد من يقتنيه
فتفوزين بجنيهات تعولين بها أمّا ضريرة
و أطفالا صغاراً .
بائسة أنت أيتها المرأة
طويل . .
طويل يا زمن .
علي الأشقياء طويل .
علي المعذبين طويل .
علي المحرومين طويل .
طويل يا زمن .
حالك الظلمة يا زمن .
تري . .
أية شمعة من أمل
قادرة علي الصمود في وجه هذا البؤس

العاصف !
من أجل الأطفال . .
تعرضين جسمك علي الأرصفة .
تضحية لن يصيبك منها غير الشقاء ، و
اليأس ، و العذاب
غداً . .
يكبر الأطفال
يسألونك . .
بأي حق تبيعين جسمك لإطعامهم ؟ !
ما أشقي الأم . .
. . إذا لعن الابناء يوما خرجوا فيه من
أحشائها !
في شاطيء مهجور . .
علي مقربة من ماء البحر
أوقفت السيارة .
علي الرمال تمددت
و إلي جوارك المرأة المجهولة .
النشوة . .
تجوب الأعضاء
كأنها أمواج بحر هاديء
تتسابق دون أن تدرك إحداها الأخري
و تلفظ أنفاسها علي الشاطيء . .
. . في استرخاء لذيذ .

●

و هبّ النسيم . .
تجفف عرقا نضح من جبينك .
همست و رأسها علي ذراعك :
ـ أعطني لفافة تبغ .
ـ آسف ، لا أدخن .
ـ علبتي في حقيبة اليد . .
ناولني منها لفافة .
بيدك اليسري
ناولتها لفافة .
أوقدت الولاعة .
قرّبت اللهب من وجهها .
تفرست في ملامحها :
هذه الملامح ليست غريبة عنك !
كأنك رأيتها من قبل !
من المؤكد أنك رأيتها من قبل .
لكن . .
متي . . ؟ !
و أين ؟ !
لست أدري . . ما عدت أتذكر
أطفأت لهب الولاعة
و هي تنفث الدخان .
هامسة في أنوثة قالت :
ـ أوتريد فضحنا ؟ !
أعدت الولاعة إلي الحقيبة .
اعتصر جبينك :
متي رأيت هذا الوجه ؟
متي ؟ !

ـ ما اسمك ؟
ـ لماذا تطرح هذا السؤال ؟
ـ لأنك لطيفة ، رقيقة . .
أريد أن أتعرف عليك أكثر .
ـ اذكرلي اسمك أنت أولا .
ـ أحمد .
ـ أحمد !
اسم جميل . .
يذكرني بشاب كنت أعرفه
احتبست أنفاسك .
ترددت دقات قلبك وجيباً بين الضلوع .
أرهفت سمعك
و طال صمتها .
ظلت تخدّج النجوم البعيدة البعيدة .
لكن سؤلاً ألح عليك
فأطلقته :
ـ و بعد ؟ !
انتفضت كالذي يفيق من حلم جميل .
ـ و بعد ماذا ؟ !
ـ ما الذي حدث بينك و بين أحمد ؟ ؟
ـ لا شيء .
ـ عرفته . .
ـ ثم لم يحدث شيء ؟ !
ـ قصتي معه طويلة . .
أطلقت زفرة .
عاودتها النظرة الشاردة

لكنك مصمم علي معرفة . .
. . ويحك !
معرفة ماذا ؟ !
إنك كالديك . .
يستخرج من تحت التراب سكيناً يُذبح
به !
ستعرف الحقيقة
حتي و إن اكتويت بنارها
ـ اروي لي قصتك معه .
ـ إنها قصة حزينة
أخشي أن أكدر صفوك بها .
ـ يسعدني أن أحمل عنك الأحزان .
ـ كنت في ذلك الوقت . .
أعيش مع أبي و زوجته .
تعرفت علي أحمد . .
ربط بيننا حب غريب :
كنت أنقل إليه صفحات ملتهبة من
كتب العشق و كان يرد عليّ
برسائل تدعوني إلي تقوي الله ، إلي
الصلاة
إلي الدعاء الصادق من أجل بيت
يجمعني به في الحلال و استغربت
مسلكه . .
كان شاباً وسيماً متعلماً أنيقاً . .
و رغم ذلك . .
لم يحدثني في رسائله عن العشق

و القبلات
و الأحضان الدافئة .
و اتهمته بالبرود . .
كنت في طور المراهقة ، و كل ما يعترض
عواطفي الملتهبة . . شاذ .
و استدعيته ليلا إلي شقتنا .
احتوتنا الشقة بعد أن غادرها الأهل إلي
المحل .
طفت به علي غرف الشقة .
و عندما وصلنا إلي غرفتي . .
أخرج منديله ،
و مسح الطلاء الذي زينت به وجهي
لإغرائه .
و لا تدوم بالطبع السعادة .
دق الجرس علي غير انتظار .
خبّأته تحت السرير .
فتحت . .
فإذا به أخي فتحي
و معه فوزي و كان يعمل بالمحل . .
جاءا يبحثان عن صندوق للشمبانيا .
و حدثت الكارثة .
اكتشف أخي معطف أحمد .
ضربني .
احتميت بالصمت و الدموع .
فتشا الشقة .
أمسك فوزي بأحمد
و هو يحاول الالقاء بنفسه من النافذة
تجنبا للفضيحة . و انهالا
عليه كالوحوش .
أخذا يتقاذفانه و كأنه الكرة . .
و أنا عاجزة
لا أملك غير الدموع . .
أسكبها في فزع .
تركاه و هو قريب من الموت .
استغل فوزي الفرصة .
أحضر والدي ،
و عقد معه صفقة عمره
فزوجوني منه .
تجاوز الأربعين
و كنت دون العشرين . .
أشبع غرائزي .
استكنت إليه
نسيت أحمد
مرت الأيام سعيدة .
و عاد أحمد . .
عاد و قد اكتسب قوة ينتقم بها من
الذين ضربوه
أذلوه ، بالأحذية سحقوه .
لكنه عاد بعد فوات الأوان .
و تحركت في عروقي الدماء الوضيعة .
طعنته .
بالقشور استبدلته .

طردته .
بالشرطة هددته .
أغلقت في وجهه باب الشقة . .
فلم أره بعد ذلك أبداً .
و سكتت سميرة يا أحمد . .
و قد خنقت العبرات صوتها .
آه ! لو تعلمين أيتها البائسة . .
أن من طردته
بالقشور ! استبدلته . .
هو الذي يواسيك في رقة . .
هو الذي أرقته ذكريات حبك
خرج يلتمس التسلية . .
فصادفك
و ياليته ما صادفك .
لكنه القدر . .
يدتر من المفاجاءات ما يعجز عن تصوره الخيال
هأنت ،
و قد جففت دمعها . .
تسأل :
ـ و بعد ؟
و هي تذرف دموعاً جديدة قالت :
ـ و بعد ذلك . .
جاء الأطفال تباعا . .
ثم دارت الدوائر
قامت الثورة و أبي مع زوجته في سويسرا

و أغُلقت الثورة الملاهي الليلية
فلم يعُد أبي .
فضّل البقاء هناك
مكتفيا بما جمعه من النقود .
و باع أخي أملاك أبيه
ثم فرّ مع الطليان إلي إيطاليا .
و أفقت ذات يوم . .
فوجدت نفسي مسئولة عن أم ضريرة ،
و أطفال ثلاثة يصرخون طلبا للطعام .
ـ و فوزي . . زوجك . . هل لحق بأخيك ؟
ـ ليته فعل .
إذن لأراحني من وجوده .
ـ مازال في طرابلس ؟
ـ أجل .
ـ ما باله لا يعمل ، و يكفيك شر إعالة الأطفال ؟
ـ أصبح عاجزا عن العمل .
ـ لكنه كان قوياً جباراً ! ؟
ـ و كان مدمنا أيضاً . .
منعت الثورة بيع الخمر
و مثله لا يستطيع العيش بدونها .
بحث عن بديل لها .
أخذ يعبّ الكحول الطبي
و التاكيلا
و كل ما يسكر . .

اعتلّت صحته
و ضعفت قواه العقلية . .
حتي أصبح يقيم في الشارع يوماً
و في مستشفي الأمراض العقلية أياما
ـ و أنت ؟
ـ لم أجد من السبل غير ما تري :
أعرض جسدي علي الرصيف . .
عله يصطاد رزقا .
و عاودتها الدموع . .
ثقيلة ،
مريرة . .
و بذلت كل ما في وسعك لتخفيف
همومها و لو إلي حين .
و عندما أوصلتها قبل الفجر بقليل . .
ـ سألتني عن اسمي . أليس كذلك ؟
و أنت تطلق زفرة حارة ، أجبت :
ـ أجل .
ـ اسمي سميرة
و اتمني لقاءك ثانية .
ستجدني دائما علي الرصيف
في نفس المحطة ،
عند منتصف الليل .

●

يا لمفاجاءات القدر !
هأنت من الإضطراب لم تنم في ليلتك
لحظة
تستعيد لقاءاً هزك بعنف .
تحتسي جرعات من القهوة
و تردد هامساً :
ـ سبحانك ربي . .
ـ سبحانك ربي !

●

و ترتفع الشمس . .
فيجمعك بسعيد لقاء .
و خرج الشعب يطفيء الشمعة الأولي
من حياة ثورته .
هأنتما تبحثان بين الكتل المتراصة
عن موضع للوقوف . .
فلا تجدانه ،
فتتلمسان علي الشاطيء مكانا
و يضطركما الإزدحام إلي الوقوف فوق
السور
لمشاهدة الإستعراض .
و بدأ الإستعراض . .
قوة برية ضاربة
قوة بحرية
قوة جوية
صاعقة
أسلحة حديثة
هي للشعب قوة

و للأمة سند
و فجأة !
ارتفع علي مقربة منك صراخ
تميز بعنفه عن هدير الدبابات :
دعوني !
سأحطمها . .
كما حطكتني !
سأحطمها !
رجل نحيف الجسم
حافي القدمين
أشعث الرأس
ممزق الثياب
مزري الهيأة . .
يحاول الأندفاع إلي الطريق
و الناس يمنعونه
يحاورونه :
_ ما هذه التي ستحطمها
_ الدبابات . .
سأحطم الدبابات
_ أنت ؟ !
أجل . . أنا !
_ شكلك . . يحطم هذه الدبابات ؟ !
_ ماله شكلي ؟ !
ألا يعجبك ؟
_ طيب . طيب . لا تغضب . .
و لماذا تريد أن تحطم الدبابات ؟ !
_ لأنها حطمتني !
_ و كيف حطمتك ؟ !
_ ثارت . . فحطمتني .
_ لكن . . كيف ؟ !
_ هل كنت هكذا أنا ؟ !
تفرس في ملامحي هل كنت هكذا ؟
_ الواقع إنني أراك هكذا منذ . .
_ منذ أن قامت الثورة
_ منذ أن قامت الثورة
_ و قبل ذلك . . كيف كنت ؟
_ ويحك !
ألم تتعرف عليّ ؟ !
لكن الذنب ليس ذنبك . .
ذنب هذه الدبابات .
سأحطمها !
_ انتظر !
هديء من روعك .
خبرني :
كيف كنت قبل الثورة ؟
_ اسأل الناس عن ملك الليل .
أنا فوزي ملك الليل !
أهتف ، فيرتعد الجميع !
و آمر ! فينفذ الجميع !
و أطلب . فتفتح لي الجيوب في سخاء !
لكن هذه الدبابات تحركت . .
فهرب الليل .

فقدت ممتلكاتي .
فقدت الليل .
و تهالك البائس علي الأرض . .
يذرف علي مجده الغابر دموعا
يجود بها جفن مقروح
ـ دعوه
إنه مجنون
كل الناس تعرفه .
ـ يهرب من المستشفي ،
و يطوف بالشوارع متسولا . .
فإذا ما عطف عليه أحد
اشتري منها كحولا طبية يسكر بها .
ـ اتركه في حاله . .
ـ انظر إلي الأسلحة البرمائية !
ـ بل إلي طائرات الميراج !
و ضاقت بك الدنيا يا أحمد .
اكتملت المأساة
ففاضت نفسك بالأحزان
هذا الحطام البشري المتهالك . .
الضاحك
الباكي
الباحث عن عقب لفافة
أو قرش إحسان . .
. . هو الذي ضربك ذات يوم
أذلك
بالحذاء سحقك ، ،
هو الذي تركت دراستك . .
لتجيد الملاكمة
و تنتقم منه
لشد ما يذهلك القدر !
ـ هيا بنا يا سعيد !
ـ إلي أين و الاستعراض لم ينته بعد ؟
ـ إلي البيت . .
سألتمس بعض الراحة قبل أن أسافر مساء
اليوم إلي الصحراء .

1.500

الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع و الإعلان
مصراتة - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الإشتراكية العظمى